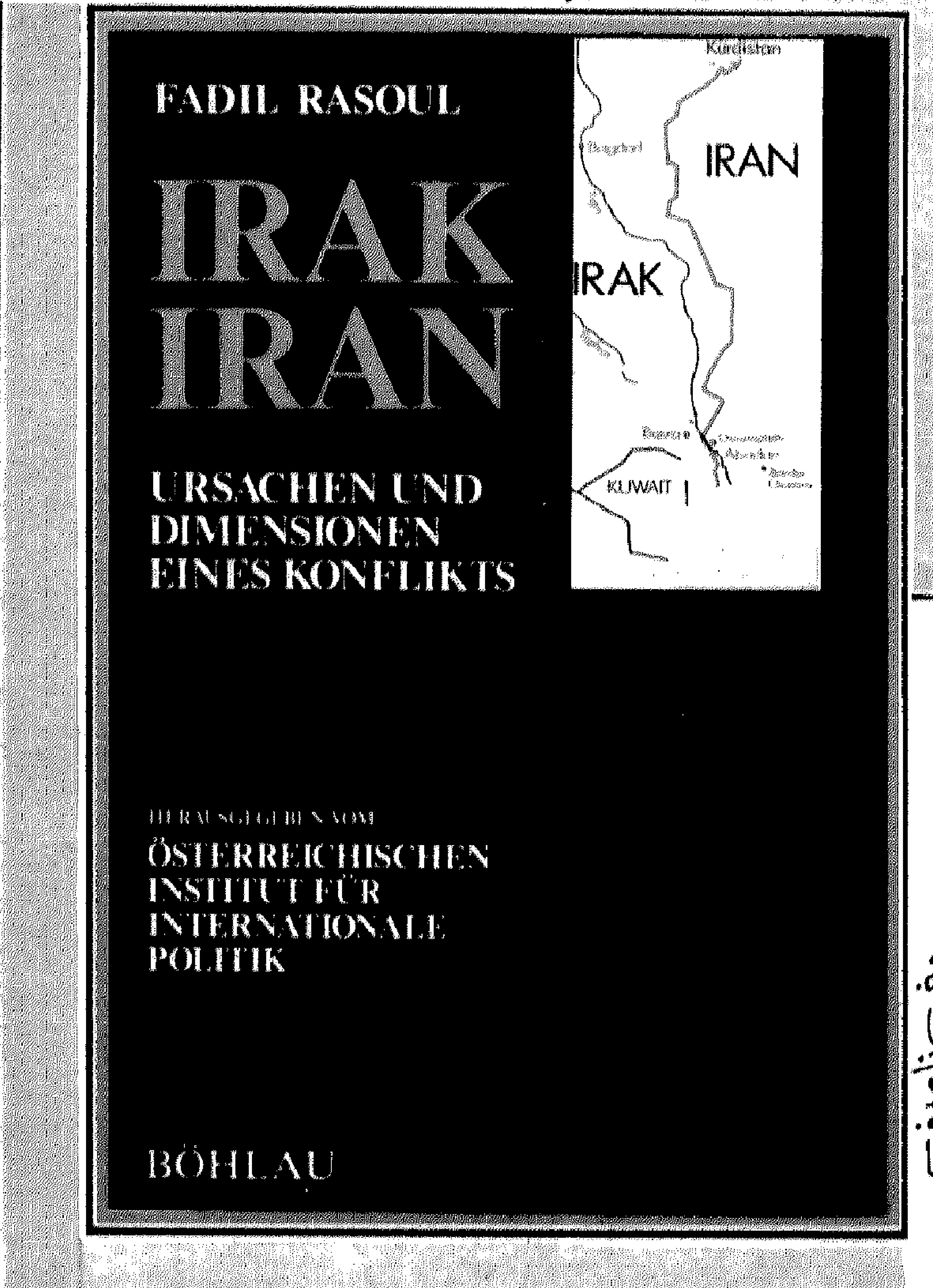
الهيئة العامة للإستعلامات

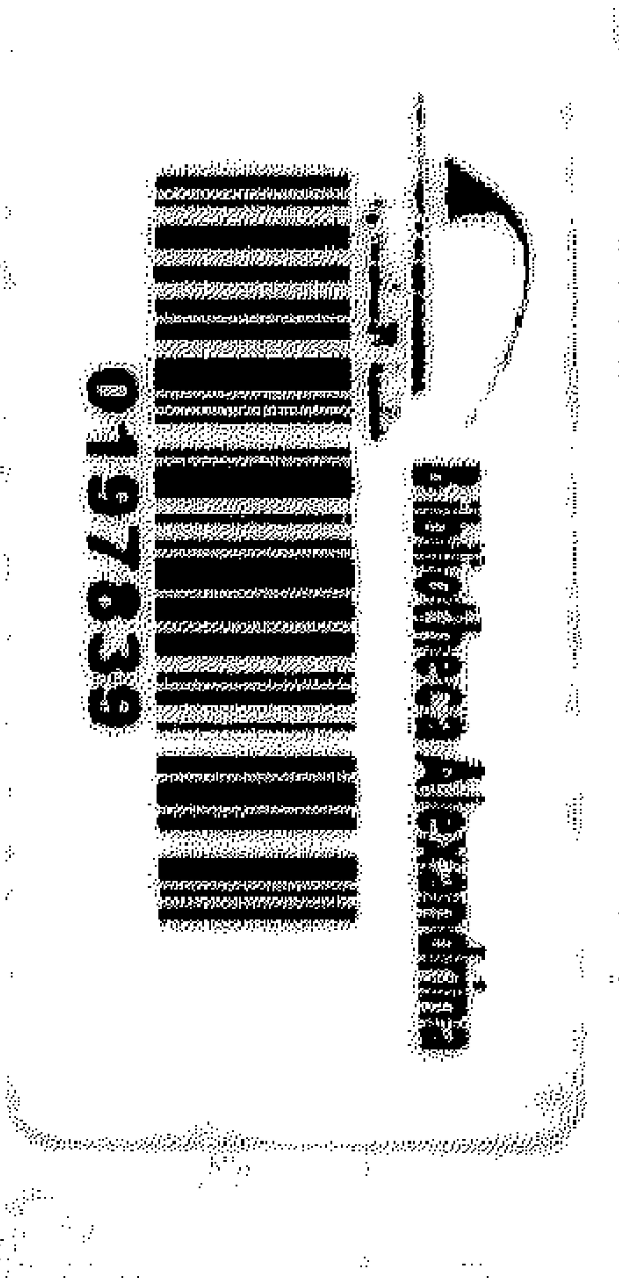
كتب مترجمة (٧٩٨)



العراق - إيران..

أسباب وأبعاد النزاع

الكاتب: فاضل رسول



العراق ـ ايران

أسباب وأبعاد النزاع

تاليف : « فاضل رسول »



صدر عن المعهد النمساوى
للسـياسة الدوليـة



مقـــــدمة

دخلت الحرب العراقية ــ الايرانية عامها السادس دون أن تلوح فى الافق نهاية قريبة لهذا النزاع الدامى ، الذى وصفه أحد المراقبين بحق أنه أحد أهـم النزاعات المسلحة التى نشبت منذ الحرب العالمية الثانية ، خاصة فيما يتعلق بحجم القـوى البشرية والمـادية والتكتيكية التى استخدمت فى هـذه الحـرب وحجم الخسائر المادية والبشرية التى لا حصر لها .

وهذه الحرب شغلت مكانا ضخما فى أجهزة الاعلام فى كافة انحاء العالم ورغم هذا ، جاءت الدراسات التحليلية لهذا الموضوع نادرة . ويرجع ذلك فى راينا الى الافتراض الذى كان سائدا منذ بداية الحرب وهو انه فى مثل هـذه المنطقة الحيوية لا يمكن أن تستمر أى حرب لمدة طويلة . وانتظر العالم نهـاية قريبة للحرب وضاع انتظاره سدى ، وعلق كل آماله على محاولات مجـــدية للوســاطة .

لم يدرك المراقبون والخبراء السياسيون أبعاد وعوامل هذه الحـــرب ادراكا كافيا . فأوصاف مثل « الحرب المجنونة » (تقرير ميريب ١٢٦/١٢٥) ، « حرب بدون منتصر » (مؤسسة فريدرش ايبرت ١٩٨١) ، « حـــرب بدون منطق واضح » (روبين ١٩٨٣ ، ص ١٤١) أو « حرب التقديرات الخاطئة » (اقبال ١٩٨٥ ، ص ٩٨) ــ هذه الأوصاف جميعا لا تشــير فقط الى الرفض المعنوى لحرب مدمرة ، بل تشــير أيضا الى عدم الفهم الكافى لأسباب الحرب ومجراها ، وطريقة التعبئـــة والمفاهيم الأيديولوجية للقوى المشتركة والمتورطة فى هذا الصراع المعقد .

بل ان الأسباب التى تسوقها منشورات ومطبوعات الجانبين المتحاربين والموالين لهما مثيرة للبلبلة والتضليل . فالرئيس العراقى صدام حسين يقول . « أن العراق يحارب نيابة عن تاريخ ومن أجل مستقبل الأمة العـــربية » . أما آية الله الخومينى فيزعـــم « ان هـــذه الحـــرب انما هى بين الاســـلام والكفر » (خومينى ، رسالة بتاريخ ١٩٨٠/٩/٢٤) . بينما وصـــف أحـــد المنشورات المواليـــة لايران الحرب بأنها صراع بين الاســـلام والقومية زمزمى ١٩٨٥) ، فى حين صورها الجانب الآخر على انها صراع بين القومية العربية والتوسع الايرانى (رؤوف ١٩٨٣ ، فيرتسلى ١٩٨١) .

وترتكز هذه الدراسة على الافتراضات التالية :

١ ــ لا يجب فهم هذه الحرب بالمعنى المتعارف عليه على انها تعبير عن نزاع على الحدود بين دولتين متجاورتين . كما انه لا يمكن تصـــور أن ابرام

اتفاقية جديدة للحدود سوف ينهى هذه الحرب ، مثلما حدث فى تاريخ النزاعات على الحدود الذى استغرق قرونا طويلة بين الامبراطورية الايرانية والعثمانية ، ومثلما حدث فى هذا القرن بين الدولتين الحديثتين (العراق وايران) وتدور الحرب الحالية تحت ظروف دولية واقليمية جديدة من جانب ، ومن جانب آخر فى ظلال نهضه اسلاميه جديدة فى التاريخ الحديث لهذه الدول . انها واحدة من اصعب النزاعات فى الشرق الاوسط اذا قورنت بالصراع العربى الاسرائيلى والحرب الاهلية اللبنانية المرتبطة بهذا الصراع .

٢ ــ كيف يبدو الآن الوضع الدولى الجديد الذى تشتعل الحرب فى ظلاله ؟ مما لا شك فيه أن كل نزاع اقليمى ومحلى يرتبط بطريقة أو بأخرى بالنزاعات الدولية والاقليمية ذات الابعاد الواسعة بل يتأثر بموازين القوى بين الدول العظمى . وعلى أية حال اتسمت ثمانينيات قرننا بوضع دولى جديد ، نحاول توضيح معالمه الجوهرية وخاصة تلك التى تتعلق بدراستنا حول الحرب الايرانية العراقية .

(أ) تدويل الحروب المحلية ، اى تشابكها المعقد فى شبكة العلاقات الدولية حيث انه لا يمكن لأى نزاع أن يظل اقليميا . فالدول الكبرى ــ وبخاصة الدولتان العظميان ــ متورطة بطريقة أو بأخرى فى كل صراع محلى واقليمى وبذلك يضفون بعدا دوليا على أى من هذه النزاعات ، فى نفس الوقت تصب الصراعات المحلية والاقليمية فى استراتيجيات الدول العظمى .

(ب) بالرغم من تدخل الدول الكبرى وتورطها فى النزاعات الاقليمية وتأثيرها على كيفية سيرها من خلال معونات الاسلحة وتأييدها لاحد أطراف الصراع نجد أنها تعجز فى معظم الأحيان عن انهاء هذه الصراعات . وانطلاقا من هذا السبب لا نتفق مع هؤلاء الذين يتوقعون نهاية للحرب العراقية الايرانية وكذلك العديد من الصراعات الاقليمية الأخرى عن طريق التوصل الى اتفاق سوفيتى أمريكى على سبيل المثال . وسنتعرض فى دراستنا التحليلية لضروب الفوضى فى النظام الدولى التى نجمت عن هذه الصراعات .

(ج) ظهور القوى الاقليمية والمحلية (دول وحركات تحرير) التى تسند اليها دائما ادوار أكبر فى العلاقات الدولية والصراعات الاقليمية . وحتى لو اعتبرت نفسها مربوطة بمحور احدى الدول العظمى ، فليس من الضرورى ان تكون تابعة كلية لهذه الدولة ومحدودة فى حرية قراراتها وحركتها . وستظل القوى المحلية والاقليمية ــ على مر الزمن ومع التركيب المتغير للدول العظمى ــ من اقوى شركاء فى المحاور والتحالفات الدولية .

(د) تسعى بعض هذه القوى الاقليمية (دول تملك قدرات مادية وبشرية وثقافية ضخمة) الى نوع من السيطرة الاقليمية • وقد نشأت هذه الظاهرة (على الأقل فى الشرق الاوسط) اثناء الستينيات فقط •

٣ - ولتفهم ظاهرة مثل الحرب العراقية الايرانية ، لا يتحتم تحليل الارتباطات الدولية فقط بل يتعين أيضا مراعاة بعض السمات الحضارية الأخرى والخصوصيات كالقومية العربية والاسلام • فكما غير ظهور القومية العربية فى عهد ناصر فى الستينيات الوضع السياسى للمنطقة ، جذريا ، وأدى الى اقامة تحالفات دولية وصراعات داخلية واقليمية ، يمكن النظر الى « نهضة » الاسلام على أنها تيار سياسى قوى وعامل مهم آخر فى عدم استقرار المنطقة •

وهذه التيارات القومية العربية ، والاسلام ، تيارات وحدوية تسعى الى اقامة وحدات سياسية أكبر فى المنطقة (وحدة العرب كقومية ، وتوحيد المسلمين فى أمة واحدة) ، وبالرغم من ذلك كانت سببا فى عدم الاستقرار ، وفى العديد من الصراعات العسكرية السياسية فى المنطقة • ونحاول هنا دراسة هذه التيارات الاقليمية وغير الاقليمية فى ضوء تأثيرها على الحرب العراقية الايرانية وظواهر أخرى مشابهة •

٤ - ويقود هذا الى مجال آخر ، أى الى تحليل التركيب الحضارى والسياسى للمنطقة التى نشأت فيها على مر تاريخها (فى عهد الخلافة والدول الاسلامية المختلفة) وحدة سياسية حضارية عظيمة ، تجزأت بعد هزيمة الدولة العثمانية الى دول ودويلات صغيرة ، ولعل أوضح مثل على ذلك هو الاثنتان وعشرون دولة عربية •

ولا يتجاوز عمر الدولة الحديثة فى هذه المنطقة الستين عاما ، وهى غريبة عن تاريخ المنطقة وتقاليدها وأصولها • وقد أقيمت الدولة الحديثة على النمط الغربى ، على الرغم من اختلاف الظروف العامة والتطورات داخل البلاد المختلفة الا أن هذه المحاولة لاقامة « دول حديثة بمؤسساتها القضائية والسياسية والحضارية باءت بالفشل الذريع • وكانت نتيجة هذا الفشل ظهور النهضة الاسلامية ، التى تسعى - من بين ما تسعى للعودة الى نظام الدولة الاسلامية ورفض « الدولة الحديثة » •

ولا يمكن أن يعزى ضعف الدولة الحديثة الى الاغتراب الثقافى بل لعل أهم سبب هو غياب القاعدة السياسية الثقافية الصلبة والراسخة والمسائل الخلافية والانتماءات فى هذه الدول . وقد دخلت الدول الحديثة فى محاولتها لاقامة وتثبيت انتماءات جديدة مصطنعه (الانتماء للدولة الحديثة ولشعبها) فى صراع مع الأقليات القومية والمذاهب والقبائل والطوائف • وكانت نتيجة هذه المساعى قبل وبعد الحرب العالمية ناجحة نسبيا ، الا أنها فشلت فى الستينيات بسبب

ظهور الانتماءات الدينية والقومية • وأدى ذلك الى ضعف الكيان الهش للدولة الحديثة لدرجة انه يمكننا القول بأن هذه المنطقة تدخل فى مرحلة جديدة من مراحل تاريخها ، وهى مرحلة تتسم بالتفكك واعادة التكوين . ولهذا يتعين دراسة الصراعات المحلية والاقليمية (مثل الحرب العراقية الايرانية) فى ضوء التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

وتعد كل من ايران والعراق نموذجا لمثل هذه الدولة العصرية التى قامت على العديد من المتناقضات التى تهدد كيان الدولة وقد تؤدى تحت ظروف معينة الى انهيارها فهناك اقليات دينية (المسيحيين على سبيل المثال) وطائفية (كالشيعة) تعيش منفصلة فى كلا هذين البلدين • وقد أدت حركاتهم السياسية فى التاريخ الحديث للمنطقة الى هزات سياسية عنيفة ، ويتعين دراسة هذه الامور على ضوء الافتراضات التى سبق ذكرها (عملية التفكك واعادة التكوين) • وفى قضيتنا هذه لا يتعين علينا تحليل هذه الحركات بوصفها عاملا اضافيا فى مسار هذه الحرب فقط بل ايضا تأثير الحرب على التوجهات المستقبلية لهذه الحركات •

٥ — ان دراسة الخلفيات التاريخية للحرب العراقية الايرانية أمر لا مناص منه للوصول الى فهم أفضل لهذا النزاع ، فهناك بلا شك بعض الاسباب تختفى فى ثنايا التاريخ أدت الى التصعيد الحالى • فقد خاضت الامبراطوريتان (الفارسية والتركية العثمانية) حربا استغرقت قرونا طويلة من أجل ما بين النهرين ونظم عدد ضخم من الاتفاقيات الدولية علاقاتهما ومطالبهما الاقليمية • ولعبت الخلافات الطائفية وعوامل اخرى محلية دورا هاما هنا •

وواصلت الدولتان الحديثتان (العراق و ايران) هذا الصراع فى قرننا الحالى فى ظل ظروف جديدة . ولا يمكن أن تؤدى الخلفية التاريخية الى نتيجة خاطئة بحيث تصيب كثيرا من المراقبين بالارتباك وهى التى تفيد بأن الحرب الحالية عبارة عن استمرار للنزاع التاريخى القديم أو انعكاس للصراع بين السنة والشيعة أو صراع بين الاسلام والقومية العربية.ومما لا ريب فيه أن الصراعات التاريخية السابقة والنزاع على الحدود ميراث أثقل كاهل العلاقات بين البلدين . كما أنه من المؤكد أيضا ان الخلافات الطائفية (شيعة وسنة) والصراعات الأيديولوجية (الاسلام والقومية العربية) ما هى الا عناصر وعوامل للحرب الحالية . ومن المؤكد ان التاريخ لا يعيد نفسه وان هذا الصراع الحالى ليس استمرارا أو اطالة للتاريخ حتى لو كانت بعض جذوره توجد فى الماضى .

والحرب الفعلية تدور تحت ظروف دولية جديدة تم الاشارة اليها اعلاه . ويستحيل تقديم عرض لانفجار الحرب الحالية دون تشخيص هذا الوضع الاقليمى والدولى الجديد • ونحاول هنا تحليل مراحل الحرب والسلام بين كلتا الدولتين الجارتين وتقديم تفسير لأسباب انفجار الصراع فى ظروف معينة واسباب

تعايش الدولتين تحت ظروف أخرى برغم مشكلات الحدود المستمرة ، وقدرتهما على تشكيل محور اقليمى مشترك .

ومن المؤكد أيضا أن هيكل الدولتين الحاليتين العراق وايران مختلف عن بناء « الدول السابقة » . وهذه الحقيقة تضعف نظرية « استمرار الحـــرب » .
ولا يمكن اعتبار الدولة العراقية العلمانية استمرارا للخلافة العثمانية السنية ، التى ادعت لنفسها الحق وفقا لمعايير اسلاميـــة معينة ، فى حكم جميع البلدان الاسلامية والتى دخلت أيضا بسبب ذلك فى صراع مع الامبراطورية الفارســية الشيعية . وعلى الجانب الآخر تختلف الجمهـــــورية الايرانية الاسلامية عن النظام السابق من حيث نظامها السياسى وايديولوجيتها .

ومن ثم يمكن القول بان بعض المفاهيم مثل « حرب القومية العربية ضـــد الفرس » أو « حرب الاسلام ضد الكفرة » ، التى كثيرا ما استغلت دعائيا ، لا يمكن أن تكون مفاهيم قاعدية يمكن الاعتماد عليها لاجراء تحليل جاد .

اننا نتخذ فى دراستنا أسلوب التحليل التاريخى . ولهذا نحـــاول أن نستعرض بجانب الخلفيات التاريخية أحداث الحرب وكيفية سيرها بايجــاز شديد بقدر الامكان . ونقتصر فى عرض أحداث الحرب على الحد الأدنى اللازم للتحليل السياسى ، أما بالنسبة لمزيد من التفصيلات فاننا نشير الى دراسات صحفية ومصادر أخرى ظهرت فى العامين الاخيرين تحتوى على تفصيلات كافيه عن الاحداث الاستراتيجية والعسكرية . وقد أعطى وزن كبير للخلفية التاريخية برغم التحذير من المبالغة فى أهمية هذا العامل الذى تم الاشارة اليه أعلاه ، حيث أن هذه الخلفية التاريخية لم تدرس الدراسة الكافية من وجهة نظرنا ، وان الكتب دائما ما تتحيز لأحد الجانبين .

وقد خصصنا فى تحليلنا للســياسة الخارجية لكلتــا الدولتين المتحاربتين فصلا كاملا للسياسة الخارجية الايرانية قبل وبعد اندلاع الحـــرب . وكان تحليل السياسة الخارجية الايرانية يحتل فى مشروع هذه الدراسة مكانا ضخما وكان العنوان : « السياسة الخارجية الايرانية والحرب العراقية الايرانية » .
ومع ذلك فقد قررنا فى اطار هذا العمل اعطاء مزيد من الاهتمام للحـــرب والصراعات الاقليمية المرتبطة بها .

ويطيب لى فى هذا المكان ان اعرب عن شكرى للاصدقاء الذين ساعدونى فى انجاز هذا العمل ، وعلى وجـــه الخصوص البروفسور فالتر دوستال وكريستوف راينبرشت وريناته فايشتاور ، فقد كانت ملاحظاتهم على أسلوب ومضمون هذا النص خير عون لى .

فيينا فى يونية ١٩٨٦ « فاضل رســول »

(١) ورثـــة التاريـــخ

يظل اندلاع الحرب ومسارها أمرا غير مفهوم بدون استعراض خلفيتها التاريخية . وتختلف طريقة تناولنا لهذا العامل تماما عن بقية الأعمال الأخرى .

وتدعى كل من العراق وايران حقوقا تاريخية تعود الى آلاف السنين . فطبقا لوجهة النظر العراقية ترجع جذور الدولة الحاليـــة الى البابليين والى الحضارة التى قامت فيما بين النهرين ، حيث بدأ تكوين أول وحدة رسمية أوقف استمرارها بسبب الغزوات العسكرية ، من بينها غزوات الفرس فى فترات معينة (الراوى ١٩٨٣ ، ص ٤٥ — ٥٩) .

أما ايران . فتدعى لنفســـها — خصوصـــا فى عهد أسرة الشاه — امبراطورية تاريخية يرجع عمرها الى ألفين وخمسمائة عام (انظر احســـان الطبرى ١٩٧٧ ص ٩) ، حيث تمكنت الامبراطورية الفارسية من السيطرة على ما بين النهرين فى حقبات تاريخية معينة . واستنادا على هذه الرؤية التاريخية تطالب ايران بأجزاء من العراق واغلب دول الخليج ، وعلى وجـــه الخصوص البحرين (١) .

ومنذ أسلمت المنطقة فى عام ٦٣٠ كانت الدولتان الحاليتان (ايـــران والعراق) اجزاء من نفس الوحدة القانونية (الأمويين والعباسيين ٠٠ الخ) ، التى كانت تضم بين ثناياها دولا وجماعات مختلفة متنافسة وكانت العناصر العربية والفارسية تتصارع باستمرار فى عهد الخلفاء العباسيين ، وقد تجلى هذا الصراع فى انشاء المدارس الدينية والفلسفية وفى تكوين الجمـــاعات السياسية وفى محاربة الخلافة وانعكس ذلك فى أدب هذا العصر (كاهان ١٩٧٢ — ص ١١٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٦ ، انظر بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

واتخذ هـــذا الصراع اشكالا جديدة فى بداية القرن السادس عشر ، مع قيام الدولة الصفوية الفارسية الشيعية فى عام ١٥٠١ ٠ وقد انفجر الصراع بين الدولة العثمانية السنية والدولة الفارسية الشيعية منذ هذا الوقت للسيطرة على منطقة العراق الحالية ٠ ونجح الجانبان فى فترات معينة فى اخضاع هـــذه المنطقة لسيطرتهما ٠ ولكن من عام ١٦٣٩ وحتى الحرب العالمية الاولى تم تسوية

---

(١) لم يطالب البرلمان الايرانى بحقه التاريخى فى البحرين الا فى عـــام ١٩٧٠ بعد أن أيدت اتجاهات معينة الثورة الاسلامية مرة اخرى ٠ انظر فى هذا الصدد صحيفة الاخبار الصادرة فى ١٩٨٠/٤/١٠ وصحيفة الراى العـــام الصادرة فى ١٧ ، ١٩٧٩/٦/١٩ ٠

نزاعات الحدود والتوفيق بين المطالب الاقليمية وموازين القوى السائدة آنذاك ٠ وكانت مشكلات الحدود والخلافات على السيادة على ممر « شط العرب » المائى سببا دائما للنزاع فيما مضى وايضا بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق ٠

وبرغم التاريخ لا يمكن اعتبار النزاع الحالى استمرارا للنزاع العربى الايرانى قبل وبعد اضفاء الصبغة الاسلامية . وبالنسبة لتاريخ النزاع قبل وبعد اضفاء الصبغة الاسلامية فنود أن نستعرض الأفكار التالية :

(أ) تفيد النظرية المؤيدة للعراق بأن اندلاع الحرب انما هو استئناف للنزاع العراقى الايرانى قبل ٢٥٠٠ عام (رؤوف ١٩٨٣ ص ١١) وان النظام الايرانى الحالى خليفة لاتباع « زرادشت » الكفرة ٠ ووقعت فى عام ٢٥٠٠ و ٢٠٠٠ق٠م معارك بين السومريين والاكاديين الذين كانوا يحكمون ما بين النهرين والقبائل التى تعيش فى المنطقة الايرانية الحالية ، وبين عام ٢٠٠٦ و ٩٣٣ ق٠م دخلت الشعوب التى تعيش فيما بين النهرين فى معارك مع العيلاميين الذين كانوا يسيطرون على الشرق (على ١٩٨٣ ، رؤوف ١٩٨٣) ٠ اما بعد اضمحلال حضارة ما بين النهرين فقد ظهر فى العراق الحالى الساسانيون الذين كانت عاصمتهم « مدين » تقع فى جنوب ما بين النهرين ٠

والبحث عن جذور النزاعات الحالية فى هذه الصراعات القديمة مسألة تحتاج الى تفكير عميق . لأن الدراسات التاريخية حول اصل ومصير هذه الشعوب ليست وافية ٠ وهناك اسطورة كان يستخدمها الشاه دائما لتسمية جميع القبائل والاسر التى تعيش فى ايران الحالية « فارسيين » ، ولكن نتائج الابحاث الحديثة لم تثبت صدق هذه الأسطورة حتى الآن . وطبقا لرأى العلماء يمكن ان يكون (الميديون) الذين قضوا على الدولة الاشورية فى العراق فى عام ٦١٢ هم أسلاف الاكراد (خزبك ١٩٧٢ ص ٥١٢ ، انظر سافراستيان ١٩٤٨ ، ص ١٠١ –)٠ أما بالنسبة لأصل الشعوب الاخرى فلا توجد سوى افتراضات متناقضة مع بعضها ٠

ولا يعرف شيء عن الفترة ما بين اختفاء الشعوب التى كانت تحكم ما بين النهرين والفترة التى سبقت انتشار الاسلام مباشرة ٠ ولا يمكن اعتبار القبائل التى نشأت فى العراق قبل انتشار الاسلام مباشرة خلفاء لشعوب ما بين النهرين القديمة ، ولكنها جاءت مع حركة الهجرة من شبه الجزيرة العربية (شكرى ١٩٧٤ ص ٨٥ – ٩٨) ٠ ويعتقد أن بقية الشعوب القديمة ذابت وانصهرت فى هذه القبائل ٠

(ب) وتفيد هذه النظرية بأن الحرب الحالية عبارة عن استئناف مباشر للنزاع بين المسلمين العرب والكفرة (الفارسيين الزرادشتين) عام ٦٣٧ ٠ (انظر فيرتسلى١٩٨١ص١٣–١٥)، ولذلك وصفت وسائل الاعلام العراقية الحرب الايرانية

العراقية الحالية بانها « قادسية ثانية » ، تيمنا بالمعركة الحاسمة التى وقعت عام ٦٣٧ حول العاصمة الفارسية « مدين » . ولا تتفق هذه النظرية بأى حال من الاحوال مع الحقائق التاريخية ، حيث أن العلاقة بين الدولة الفارسية والقبائل العربية والأسر الحاكمة كانت خالية من الصراعات فى أغلب الأوقات .

ويجدر ذكر ان الملك اليمنى « سنيويس » — يهودى — الذى كان يعترف بالسيادة الفارسية ، طلب معونة الاسطول الفارسى ضد المسيحيين الذين كانوا يهددون دولته (زمزمى ١٩٨٥ ص ٢٠) وكان معظم ابناء قبائل لخم التى كانت تعيش مستقلة ذاتيا فى منطقة العراق الحالية قبل انتشار الاسلام من المسيحيين الموالين للدولة الفارسية وساندوها فى حروبها ضد المسلمين مثلما حدث فى الحروب السابقة ضد البيزنطيين . ولم تكن القوات المسلمة التى أخضعت الدولة الفارسية عام ٦٣٧ لسيطرتها تتكون من قبائل عراقية — كما يزعم دائما — بل من قبائل عربية كانت تعيش فى قلب السلطة الاسلامية الفتية لشبه الجزيرة العربية (انظر شكرى ١٩٧٤ ص ٨٨) . ولا يمكن اعتبار الحكام الحاليين فى ايران خلفاء للفارسيين الكفرة (انظر رؤوف ١٩٨٣ ص ١١ ف) . فهذا الرأى يفتقر الى الأسس التاريخية ويتعارض مع دور المؤسسة الدينية فى التاريخ الحديث حيث كان نظام الشاه والتيارات العلمانية الحديثة يرون فى الاسلام عائقا أمام اضفاء الطابع الاوربى على البلاد ، ولذا كانوا يسعون دائما للتقليل من أهمية الاسلام فى التاريخ الايرانى وكانوا يشيرون اليه على أنه غزو عربى وكانوا يستندون دائما على تاريخ ما قبل الاسلام (الطبرى الجزء الاول عام ١٩٧٧ ص ١٠٠) . وكانت المؤسسة الدينية على العكس من ذلك موالية للعرب وكانت تسعى لابراز الشخصية الاسلامية لايران . ومن هنا نتج الاهتمام باللغة العربية — من خلال القرآن — بعد الثورة الاسلامية ، واصبحت اللغة الثانية للتعليم فى الجمهورية الجديدة (انظر الدستور الايرانى فقرة ١٦) . غير أن هذا لا يعنى أن تصوراتهم السياسية — خاصة استيلائهم على السلطة — خالية من عناصر قومية فارسية أو حتى ميول توسعية

(ج) دخلت العناصر العربية والايرانية فى معارك دائمة بسبب الصراعات فى الدول الاسلامية الكبرى وبخاصة بغداد . وكانت هذه المعارك ذات طبيعة معقدة تماما تكاد أن تكون قد انتقلت الى النزاع الحالى . وكانت هذه المعارك تنقسم الى ثلاثة مستويات : المستوى الأول عبارة عن صراع بين المسلمين العرب وغير المسلمين . أما المستوى الثانى فكان الصراع بين المركز والضواحى ، حيث يشكل هذا النوع من النزاع نوعا مميزا فى تاريخ كل دولة عظمى . والمستوى الثالث كان عبارة عن صراع بين أقلية شيعية مضطهدة وأغلبية سنية مسيطرة . وغالبا ما كانت هذه الصراعات الثلاثة مستقلة عن بعضها ، غير أنها كانت تتداخل فى بعضها من حين الى آخر . وسنحاول فيما يلى تناول مستويات الصراع بمزيد من التفصيل .

(أ) تمكن الاسلام الذى خرج من شبه الجزيرة العربيـة من غـزو الامبراطورية الفارسية وشمال أفريقيا وأجزاء من المناطق التى كان يسـيطر عليهـا البيزنطيون فى غضون خمسين عاما . وسيطر المسلمون العرب على العراق وايران عام ٦٣٩ وعلى مصر عام ٦٤٢ وعلى تونس عام ٦٧٠ وعلى المغرب عام ٧١٠ وأسبانيا عام ٧١٤ وعلى جزء كبير من فرنسـا عام ٧٢٠ وعلى جزء من الصين عام ٧٥١ . وتكونت داخـل هـذه الدولة المتعـددة الشعوب فى اطار منهاج تاريخى خاص ـ امة اسلامية لا يحددها الانتمـاء لجنس أو قومية بل عقيدة مشتركة واحـدة . وبالرغم من أن مفهوم « الصراع القومى » لا يصلح فى هذا السياق (كاهان عام ١٩٧٢ ص ٧٨) نجـد أنه قـد حدثت بالفعـل صراعـات داخـل الامة الاسلامية الضخمة بين القبـائل والشعوب المختلفة .

وكان التقليد السائد أن يكون الخليفة من قبيلة قريش العربيـة . وتمتع العرب وبخاصة فى عهد الخلافة الامـوية (٦٦١ ـ ٧٥٠) بالعـديد من الامتيازات التى لا تستند على الشريعة الاسلامية أو النصوص القرآنيـة (انظـر كاهان ١٩٧٢ ص ٦٣ ف) . وعلى الجانـب الآخـر كان الفرس والشعوب الاسلامية الاخرى يسعون الى المسـاواة والمشـاركة فى السـلطة السياسية . وقام الفرس فى عهد العباسيين الذين شهدت الامـة الاسلامية أوج ازدهارها فى حكمهم بدور عظيم مستندين فى ذلك على تقليد حضـارى طويل ، حتى أصبحوا منافسين أساسيين للعرب وبخاصة فى بغداد عاصمة الخلافة (بروكلمان عام ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

(ب) على الرغـم من اعتناق المناطق التى تم غزوهـا للاسـلام فى وقت قصير نجـد أنه سرعان ما نشب صراع بين الضاحية والمركـز (أولا دمشق ثم بغداد) وأسباب ذلك متنوعة وذات طبيعة مختلفة . كالرغبـة فى مزيد من الحكم الذاتى والسخط على نظام الضريبة وأنشطة الشيعة وبعض الجماعات الدينية الاخرى التى تمكنت من فرض ارادتها على المناطق المتطرفة أو الهامشية ، وكذلك مساعى بعض الاسر المختلفة لاقامة مراكز سلطوية خاصة بها مع الاستمرار للولاء للاسـلام فى نفس الوقـت (الطبرى الجـزء الاول ١٩٧٠ ص ١١٣ ـ ١٢٣) . وقد أدى ذلك منذ القـرن التاسع الى قيـام عـديد من مراكز السـلطة المحلية وامارات فارسـية وكردية وتركيـة وامارات أخرى كانت فى الواقع مستقلة عن الخليفة فى بغـداد ولكنهـا تدين له بالـولاء الجزئى . وسرعان ما تكونت فى ايران تنظيمات مشابهة . وقـد تمت الاطاحة الدامية بالخلافة الاموية عن طريق العباسيين بسبب الثـورة التى نشبت فى خورسان ، فى منطقة الدول الحديثة أفغانستان وايران (بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٦٠) .

(ج) فقدت الشيعة ـ وهى المذهب الثانى بعد السنة الحاكمة ـ نفوذها فى قلب الامة الاسلامية بعد هزيمة واغتيال امامها الثالث حسين فى عام ٦٨٠ . واجبرت اعمال القهر الشيعة على الانسحاب الى المناطق المتطرفة التى أصبحت مناطق نفوذ جديدة لهم مثل ايران واليمن والبحرين والى حد ما مصر (بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٦٠ ف ف) . ومن هناك قامت الشيعة بالمقاومة وأقامت مراكز سلطة مؤقتة . وأصبحت ايران التى تأسست فيها أول دولة شيعية كبرى ، قاعدة أساسية للشيعة . وأدى تضافر مستويات النزاع الثلاثة الى جعل الفرس اكبر قاعدة يعول عليها للشيعة ولكن ذلك لا يعنى بالتاكيد أن الشيعة مذهب ايرانى . (انظر بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٧٣ ـ ٢٨٣) .

وترجع قصة نشأة الشيعة الى الصراعات التى نشبت فى الفترة بعد وفاة النبى محمد عليه الصلاة والسلام والخلافات حول أول خليفة له . والشخصيات الرئيسية للمذهب الشيعى ـ وخاصة الاثنى عشر اماما ـ وهم من العرب ومن سلالة الرسول ووجود قاعدة للشيعة فى ايران ـ كما بينت النبذة التاريخية ودخول الايرانيين فى نزاعات مستمرة مع مركز سلطة الامة الاسلامية ، هذا كله يوضح أحد الابعاد المتعددة للتاريخ الاسلامى ، التى لا تكفى فقط لتفسير خلفية الحرب الايرانية العراقية الحالية .

١ ـ ١ ـ الصراع الايرانى العثمانى حول العراق

كان غزو المغول ما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر يعنى بالنسبة للمنطقة بأسرها استغلالا ودمارا ٠ فقد دمرت بغداد التى كانت مركزا سياسيا وثقافيا للامة الاسلامية تدميرا تاما وهجرت المئات من المدارس وأحرقت الملايين من الكتب ٠ ولم تفق المنطقة من عمليات الخراب الا تدريجيا وفى القرن الخامس عشر ٠ وفى ظل موازين قوى متغيرة تماما بدأ ظهور كيانات سياسية جديدة وتحولت كل من ايران وتركيا ـ اللتين لم تعانيا الا قليلا من الغزو المغولى ـ الى مراكز قوى جديدة ،ورأى العراق ـ الذى أصبح لا وزن له نتيجة للدمار الذى حاق به ـ رأى نفسه عرضة للخطر (جمعة ١٩٨٠ ص ١١) ٠

واعلنت الدولة العثمانية فى عام ١٩٤٢ أنها أصبحت مركز الخلافة الاسلامية وادعت لنفسها حق السيادة على كل المناطق الاسلامية (بروكلمان ١٩٧٧ ص ٤٤٨) ٠ وكان لغزو بغداد أهمية خاصة ، حيث كانت تمثل بوصفها سابقة للخلافة فى عهد العباسيين قيمة رمزية رفيعة بالنسبة للعالم الاسلامى ٠

وكان الوضع مختلفا فى الدولة الصفوية الفارسية نظرا لان ايران بوصفها دولة شيعية لم تكن فى وضع يمكنها من المطالبة بحق خضوع بقية العالم الاسلامى لسلطاتها ٠ وتخلت آنذاك عن المطالبة التوسعية وعزلت نفسها كلية عن العالم الخارجى ٠ وعند قيام الدولة الصفوية لم يكن سوى نصف الشعب الايرانى تقريبا من الشيعة ٠ وبعد ظهور التعصب المذهبى والمذابح المنتظمة ضد السنيين فر هؤلاء الى الهند وافغانستان والدولة العثمانية ٠ وواجهت كثير من القبائل الشيعية المضطهدة نفس المصير ٠ فتركت مجالها الحيوى وبحثت عن الملاذ فى ايران الشيعية ٠

وتكونت نتيجة لهذه الحرب دولة فارسية باغلبية شيعية ساحقة (بيتروشوفسكى) ١٩٧١ ص ٤٨ ف ف : انظر بروكلمان ص ٤٩٨) ٠ ويرى بعض المؤرخين ان قيام الدولة الصفوية أدى الى ازدهار القومية الفارسية تحت غطاء المذهب « الشيعى » (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ٣٧٦ ٠ ونحن نرى أن الانتماء المذهبى لم يكن مجرد غطاء فقط ، بل كان يمثل فى الواقع قوة دفع مؤثرة وعلى أية حال تغير وضع المذهب الشيعى ـ الذى كان المذهب الرسمى للدولة ـ فى القرن السادس عشر حيث قامت لاول مرة بجانب السلطة سلطة دينية يشبه دورها الى حد ما دور الكنيسة فى اوربا ابان العصور الوسطى اذ كانت السلطة الدينية ايضا مرتبطة الى حد ما بالسلطة السياسية ٠ واستطاع

المذهب احتواء العناصر الفارسية التقليدية ليضمن التوفيق بين المذهب الشيعى والتقاليد الفارسية .

ونظرا لان مقابر سبعة من أئمة الشيعة الاثنى عشر وأهم مقدسات الشيعة توجد فى منطقة العراق اليوم ، ونظرا لان نصف الشعب العراقى كان من الشيعة (ولا يزال حتى اليوم أيضا) ، فقد ظل العراق يحتل بؤرة الاهتمامات الايرانية وأصبح موضوعا لصراعات متعددة بين الدولة الايرانية والعثمانية . جلبت هذه النزاعات الشقاء على المناطق العراقية بينما لم يكن للعراق نفسه سوى دور ثانوى .

وقلم الجانب الايرانى بحسم هذا النزاع انطلاقا من وجهة نظر مذهبية . وكانت ايران حتى وقت قيام الدولة الصفوية قاعدة للمذهب الشيعى ، غير أنها لم تكن مركزا للنشاط والتعليم الدينى ، بينما كانت أماكن أخرى هامة للمذهب الشيعى مثل البحرين وجنوب لبنان والاماكن المقدسة فى العراق تحظى بأهمية اكبر واستخدمت الدولة الصفوية عند انشائها فى القرن السادس عشر المذهب الشيعى لتقوية وتدعيم القاعدة الايدلوجية والقوة الدافعة للدولة الحديثة . واستقدم المعلمون والأساتذة من المراكز الشيعية التقليدية لتحقيق هذا الغرض وشجع على هذا ما كان من التعصب المذهبى الذى كان ظاهرة جديدة فى هذه المنطقة . ولذا لا يمكن وصف الدولة العثمانية وكذلك الفارسية بأنهما دول قومية بالمعنى الحديث للكلمة . فالدولتان تحملان الطابع المذهبى ، وكان الانتماء المذهبى على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتكامل الدولة . وثمة ظاهرة مميزة أيضا للوضع الراهن وهى العلاقات ما بين الشيعيين والسنيين فى العراق الذين كانوا يشكلون فى ذلك الوقت حوالى نصف عدد السكان والذين كانوا يتخذون موقف التحفظ والسلبية ازاء الاتجاهات السياسية للدولتين العثمانية والايرانية . ولم ينتقل الطابع المذهبى للنزاع الى الشعب الذى كان يعيش فى العراق والذى كان موزعا على المذهبين .

وكبعد آخر لهذا النزاع يتعين وضع التدخل المبكر للدول الاوربية فى الاعتبار . وحيث ان الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية قوية كانت تمثل خصما قويا للدول الاوربية ، عرضت ايران ان تكون حليفا (جمعة ١٩٨٠ ص ٢١٥) وكانت ايران مهتمة بحدوث مثل هذا التقارب ، وبخاصة فى عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨ — ١٦٢٩) . واقام عباس علاقات مع أسبانيا وبريطانيا لتقويض سيطرة البرتغال على الخليج ، وسعى الى تدعيم التعاون العسكرى مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . ونجح المبعوثان الخاصان لايران فى أوربا وهما البريطانيان روبرت وانتونى شيرلى فى مباحثات تحديث الجيش الايرانى وتسليحه وتوسيع العلاقات التجارية . وفى مقابل ذلك تعهدت ايران بالموافقة على أنشطة الارساليات المسيحية وبناء الكنائس (جمعة ١٩٨٠ ص ٢٥٩) .

١ ــ ٢ ــ تاريخ مشكلات الحدود :

فتح الايرانيون بغداد لاول مرة فى عام ١٥٠٧ ولكنها عادت لسيطرة الدولة العثمانية مرة أخرى فى عام ١٥٣٤ . ووقعت عديد من المعارك العسكرية بين كلتا الدولتين استمرت حتى زوال الدولة الصفوية فى عام ١٧٢٢ وكانت هذه الدولة أو تلك تتناوب السيطرة على العراق . وفى عام ١٦٣٩ تطورت النزاعات الى صراعات على الحدود لأول مرة ويجب عند التعرض لمشكلات الحدود وضع العوامل التالية فى الاعتبار :

(أ) لم يكن العراق يشكل وحدة رسمية معترفا بها . وكانت بغداد والبصرة والموصل ولايات تابعة للدولة العثمانية ، حيث احتلت بغداد بوصعها عاصمة اقليمية وضعا خاصا .

(ب) لم تكن الحدود بين هذه الولايات الثلاث والدولة الفارسية محددة كتابيا ولم تكن الحروب الايرانية نتيجة لمطالب متناقضة على الحدود ، بل كان الدافع هو اهتمام ايران بالسيطرة على بغداد والمقدسات الشيعية وحماية السكان الشيعيين .

(ج) تمت تسوية المطالب المذكورة فى المعاهدات الاولى بين الدولة العثمانية والفارسية خلال الاعوام ١٥٥٥ و ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣ وكذلك عام ١٦١٨ ، أما تخطيط الحدود فلم يوضع فى الاعتبار ولم يكن موضوعا للمفاوضات وتم تحديد مناطق نفوذ كلتا الدولتين فى معاهدة ذهب ١٦٣٩ ، ولكن لم يتم تثبيت الحدود (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١١) .

توجد من وجهة نظرنا ومن استقراء المعاهدات أسباب لهذه الظاهرة وهى : يشكل الاكراد الذين يعيشون فى مناطق الحدود عاملا مقلقا بالنسبة لكلتا الدولتين ، يتكيف مع الجانب الذى يتفق مع اوضاعه السياسية . ويبدو أن تخطيط الحدود لشق الشعب الكردى أمر غير واقعى . ولم تهتم هاتان الدولتان بوضع خط ثابت للحدود قدر اهتمامهما بمناطق النفوذ ، ولعل أوضح مثل على هذا الموقف هو النزاع على حاكم السليمانية (اليوم شمال العراق) الذى كانت بغداد قد عينته هناك ، فقد طالبت ايران بحق التشاور والموافقة على تعيينه . وفضلا عن ذلك كان يستوطن الحدود بدو رحل لم يندمجوا فى هذه الدولة أو تلك . وجرت محاولات فى المعاهدات التالية لحل هذه المشكلات ، حيث لم تطالب هذه الدول بالسيادة على مناطق معينة محددة بل على قبائل معينة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٣ ــ ٢٠) .

ومن عام ١٦٣٩ فصاعدا كانت مناطق السليمانية وذهب موضوعا دائما للنزاع ومعاهدات السلام التالية . ولم يرد ذكر فى هذا الوقت للنزاع الحالى

حول ممر شط العرب فى أية اتفاقية ، ولكنه أصبح فى القرن العشرين أهم مشكلة بين بغداد وطهران ، حيث أن الملاحة لم تصبح مهمة الا فى نهاية القرن التاسع عشر وبذلك ازدادت قيمة شط العرب ومنذ عام ١٩٣٦ لم تعد دول المنطقة تتصارع على الحدود بل على مناطق النفوذ (١) •

وهناك موضوع آخر للنزاع فى الحرب الحالية بين ايران — العراق لم يلعب أى دور فى المعاهدات والنزاعات التى ذكرت أعـــلاه : النزاع على ولاية خوزستان (الاحواز) • وكانت هذه الولاية الواقعة على الخليج حتى عام ١٩٢١ امارة مستقلة ، تماما مثل اقاليم ايرانية أخرى •

واقامت الولايات الايرانيـــة المستقله ، بوصفها امارات عربيـــة علاقات خاصة مع الدولة العثمانية ، التى كانت قد وافقت عموما فى اتفاقيات مختلفة على سيادة ايران على هذه المناطق (٢) • وقد ارتكزت المطالب العـــراقية عند بداية الحرب الحالية مع ايران على « تحرير » هذه الولايات ، وخاصـــة فى ظروف النزاع الجـــديدة التى سنعرضها فى الفصـــل السادس من هذا الكتاب •

١ ـ ٣ ـ حروب ومعاهدات

(أ) معاهدة ذهب فى ٨ مايو ١٦٣٩ :

احتوت كثير من الاتفاقيات ، التى ابرمت بين الدول العثمانية والايرانية على مدى العمليات الحربية التى استغرقت اكثر من مائة عام ، على اتفاقيات هدنة واتفاقيات سلمية وتم تحديد مناطق النفوذ لاول مرة فى عام ١٦٣٩ •

واهم ما تضمنته اتفاقية ذهب ما يلى :

ـ ابقاء ولايتى البصرة وبغداد فى أيدى الدولة العثمانية •

— احترام وحدة القبائل البدوية . تسيطر الدولتان على قبائل معينـــة وليست مناطق معينة •

— عدم تحديد خط الحدود ، اما بالنسبة لخصوصيات جغرافية معينة مثل سلسلة جبال زاجروس ، التى كانت تحت سيطرة الدولة الايرانيـــة ، فقد وضعت تسويات خاصة بها .

ـ تحديد مناطق النفوذ فى كردستان وقيام تعاون مشترك ضد مطامع الامارات الكردية المحلية فى الاستقلال .

---

(١) أنظر فى هذا العدد نصوص الاتفاقيات المهمة فى الملحق •

(٢) مثل ملحوظة رقم ٢ •

(ب) معاهدة ارتسيروم الاولى فى ٢٨ مايو ١٨٢٣ :

لم تكن فترة المائتى العام بين معاهدة ذهب ومعاهدة ارتسيروم خالية من الاعمال الحربية . وهكذا غزت الدولة الايرانية بغداد ، ولكن أمكن تسوية اغلب النزاعات بناء على اتفاقية ١٦٣٩ . غير أن نشوب الحرب من جديد فى عام ١٨٢١ ادى بعد عامين الى اتفاقية ارتسيروم الاولى ، التى استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

— عدم تدخل الدولة الايرانية فى الشئون الداخلية لولاية بغداد وكردستان اللتين أعيد تأكيد تبعيتهما للدولة العثمانية .

— تنظيم مناطق المرعى للقبائل البدوية .

— حق الايرانيين فى الحج الى مكة والمدينة (وكلتا المدينتين كانتا ضمن التراب العثمانى) وحرية العبور الى المقدسات الشيعية فى العراق .

— اتفاق جديد للتعاون ضد القبائل الكردية والامارات التى حاولت استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

(جـ) اتفاقية ارتسيروم الثانية فى ٣١ مايو ١٨٤٧ :

ونظرا لان الاتفاقيات السابقة لم تسو مشكلة رسم الحدود بل اهتمت بمناطق النفوذ — نشبت مصادمات عسكرية بين الدولة العثمانية والايرانية . واحتل حاكم بغداد العثمانى فى عام ١٨٣٧ مدينة خورامشهر الايرانية (غالبيتها من السكان العرب) ، أما الايرانيون فقد احتلوا عام ١٨٤٠ السليمانية فى شمال العراق وهددوا بغزو الكويت والبحرين ولما رات روسيا وبريطانيا ، اللتان تتمتعتان بامتيازات عديدة ومصالح اقتصادية فى مناطق نفوذهما (روسيا فى ايران ، وبريطانيا فى العراق) أن الحرب تعرض مصالحهما التجارية والملاحة الآمنة فى الخليج وشط العرب — للخطر ، تدخلتا للتوصل الى اتفاق سلمى ، وتتضمن معاهدة ارتسيروم الثانية ، التى تم التوقيع عليها تحت تأثير وفى وجود كلتا الدولتين الكبيرتين ، التسويات التالية :

— اعادة مدينة خورامشهر المحتلة واقليم الأهواز ،

— اعادة السيادة العثمانية على السليمانية .

— تنظيم عملية الملاحة فى شط العرب وحق السفن الايرانية فى المرور الحر فى شط العرب .

— تكوين لجنة تضم ممثلين للدول الاربع (العثمانية والايرانية وروسيا وبريطانيا) لتنظيم خط الحدود . ولكن عرقل عمل هذه اللجنة نشوب نزاعات واحداث جديدة . فضلا عن اندلاع حروب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ .

ولم تتوصل الاجتماعات التالية فى اعوام (١٨٦٩ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٦) الى أية نتائج ملموسة (أنظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٨ — ٢٢) .

(د) بروتوكول طهران فى ٢١ ديسمبر ١٩١١ :

مع بداية القرن العشرين ظهرت أعراض التدهور على الدولتين العثمانية والايرانية وأصبحتا فى غاية الضعف لدرجة لا تمكنهما من تحقيق مطالبهما . وسعت الدولتان الاوربيتان الكبيرتان المتنافستان (روسيا وبريطانيا) الى تنظيم جديد لمناطق نفوذهما فى الشرق الاوسط .

وبعد اكتشاف البترول فى الاقاليم الجنوبية لايران فى عام ١٩٠١ ومنح بريطانيا حقوق استخراج البترول — اصبحت ايران محور المصالح البريطانية واستطاعت الدولتان المتنافستان بعد نزاع استغرق ما يقرب من مائة عام تحديد مناطق نفوذهما فى ايران فى المعاهدة الروسية البريطانية عام ١٩٠٧ فأصبح الجنوب الآن من حق « بريطانيا » ، أما الشمال فقد أصبح من حق « روسيا » (هرويتسى ١٩٥٦ ص ٢٦٦ ف) . وفى هـذا الصـدد سعت كلتـا الدولتين الكبيرتين الى حل لمشكلات الحدود ، التى تبلورت فى بروتوكول فى اجتماعات طهران . ولكن فشلت فى طهران الجهود الرامية للتخطيط النهائى للحدود ، وحولت مرة أخرى الى لجنة للحدود . وأصدرت الدولتان العثمانية والايرانية بيانات بالتنازل عن حل مشكلات الحدود بينهما بالوسائل العسكرية وتحويل مشكلات الحدود التى لا حل لها الى محكمة العدل الدوليـة فى لاهاى (زكى ١٩٦١ — ص ٢٢٦ ، أنظر الراوى ١٩٨٠ ص ٢٥) .

(هـ) بروتوكول اسطنبول فى ١٧ اكتوبر ١٩١٣ :

أمكن فى هذا البروتوكول ، الذى تم تحت ضغط ووجـود كلتا الدولتين الاوربيتين الكبيرتين ، التوصل لاول مرة الى تسوية لخط الحدود . وكلفت لجنة الحدود التى كانت تتكون من أربعة من ممثلى الدول الاربع بتحـديد علامات الحدود وتضمن البروتوكول الاتفاقيات التالية :

— اخضاع الجزر العديدة الواقعة أمام اقليم عبدان للسـيادة الايرانية وكذلك جميع الجزر التى تنشـأ على مر الزمن (ظاهرة جغـرافية فى هذه المنطقة) .

— تبعية شط العـرب للدولة العثمانية ، ويشكل السـاحل الايسر (الشرقى) حدود الدولة الايرانية .

— تأمين الملاحة الحرة فى شط العرب وفى قارون بالنسبة لكلتا الدولتين وحلفائهما ايضا .

— تختص لجنة الحدود بالاتفاقيات الثلاث :

فى حالة عدم اتفاق ممثلى الدولتين العثمانية والايرانية يتعين نقل آرائهما فى خلال ٤٨ ساعة لممثلى الدولتين الكبيرتين ، الذين يتولان الفصل فى موضوعات الخلاف وتكون قرراتهم نهائية (الراوى ١٩٨٠ ص ٢٧ — ٢٩ .

(و) قرارات لجنة الحدود عام ١٩١٤ :

استأنفت لجنة الحدود الرباعيه أعمالها فى بداية يناير ١٩١٤ وأنهتها فى ٢٦ نوفمبر من نفس العام وفى هذه الفترة وضعت علامات الحدود بمحاذاة الخط المحدد وتم تصوير هذه الحدود فوتوغرافيا .فقد سجلت التفصيلات فى ٨٧ فصلا ، كانت تحتوى على أول وصف دقيق لمسار الحدود بين كلتا الدولتين . واتخذت فيما بعد أساسا لكل المفاوضات الخاصة بالحدود بين ايران والعراق .

١ — ٤ الصراع العراقى الايرانى بعد الحرب العالمية الاولى :

أدى زوال الدولة العثمانية الى اعادة تنظيم المنطقة وفتح الباب أمام صراعات جديدة بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق . وقامت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية اثناء الحرب العالمية الاولى بتقسيم المنطقة الى مناطق نفوذ فى اتفاقية « سامكس بيكو » (هروفيتس ١٩٥٦ ص ١١٢ ف)،

وغزت بريطانيا العراق فى عام ١٩١٧ واصبحت طبقا لمفاوضات السلام فى باريس دولة منتدبة وظلت تحكم العراق حتى عام ١٩٣٢ ، بالرغم من اعلانه دولة مستقلة فى عام ١٩٢٢ (ابراهيم ١٩٨٣ ، ص ٣٠٨ — ٣١٠) . غير أن مصير كردستان الجنوبية (شمال العراق الآن لم تكن قد حسم بعد . وكانت كردستان بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٤ مملكة ، وشجعت معاهدة « سيفريه » مساعيها الاستقلالية ، ولكن سرعان ما نسفت هذه المساعى فى مؤتمر لوزان بسبب تغير موازين القوى السياسية العالمية (أنظر ابراهيم ١٩٨٣ صفحة ٢٩٠) .

وطالبت تركيا ، التى اعتبرت نفسها وريثة للدولة العثمانية وكذلك العراق الذى تأسس حديثا ، بهذه المناطق التى كانت تتمتع بأهمية استراتيجية واقتصادية (مصادر البترول) ، (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٢٨٠ — ٢٨٨ — ص ٣١٢) . وفى عام ١٩٢٥ أصبحت المنطقة وفقا لقرار عصبة الامم جزءا من الدولة العراقية (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٣٠٨ — ٣١٠) .

واستغلت ايران عدم استقرار الدولة العراقية الحديثة النشأة والصعوبات الداخلية التى تواجهها وطالبت باعادة النظر فى الحدود التى قد تم رسمها فى عام ١٩١٤ ، بحجة أن هذه التسوية لم تكن فى صالحها ، ولم تعترف ايران بالعراق برغم العديد من الوساطات الدولية (بريطانيا) واعترضت على الرأى العراقى الذى يفيد بان الدولة الجديدة جزء موروث من الدولة العثمانية (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٣٧) .

وساعد عاملان على اشتعال النزاع من جديد :

(أ) استيلاء رضا خان قائد الجيش الايرانى فى عام ١٩٢١ (أطلق عليه شاه ابتداء من عام ١٩٢٥ على السلطة السياسية فى ايران بعد انقلاب عسكرى وانشأ بمساعدة العسكريين وبتأييد من بريطانيا دولة مركزية اخضعت مراكز القوى المحلية لضغوط مكثفة . وهكذا وضع اقليم — الاحواز الذى كان على سبيل المثال امارة عربية ، ومنطقة للنزاع بين الدولة العثمانية والايرانية ، لسلطة مركزية وفى عهد الشاه بدا تكوين قومية ايرانية جديدة بعيدة عن الاسلام والعرب باحثة عن قواعدها فى تاريخ ما قبل الاسلام . وانفجرت بتلك اضطرابات جديدة فى العلاقات مع العراق .

(ب) يشكل الشيعة فى منطقة العراق ما يربو عن نصف الشعب وكانت الادارة السنية العثمانية تسىء معاملتهم . وقاموا فى عام ١٩٢٠ بمقاومة نشيطة للاحتلال البريطانى وساهموا بذلك جوهريا فى استقلال الدولة الحديثة ، التى سيطر فيها السنيون على الحياة السياسية بعد تسليم التاج العراقى لفيصل بن حسين الذى جاء من مكة ، وسرعان ما نشأت سيطرة سنية على جهاز السلطة الحديث النشأة ، وبذلك تم ابعاد الشيعيين عن مراكز السلطة . وسنحلل كلا هذين العاملين تحليلا تفصيليا فى الفصل السادس .

ازدادت حدة التوتر على طول الحدود بدءا من عام ١٩٢٤ (١) . كما أن قانون الجنسية الذى اصدره العراق فى عام ١٩٢٤ لم يضمن الجنسية العراقية الا لمواطنى الدولة العثمانية (الراوى ١٩٨٠ ص ٤٢ ف) . وبهذا القانون لم يمنح النظام العراقى الجنسية لمائتى الف شيعى ممن يحملون الجنسية الايرانية كانوا يعيشون عبر أجيال على التراب العراقى واغلبهم من العرب الذين حاولوا اللواذ بالدولة الايرانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، لمجرد الهروب من الخدمة العسكرية فى الجيش العثمانى وظلت هذه المشكلة مثار توتر دائم من العشرينيات وحتى يومنا هذا ولم يتم التوصل الى حل .

وعللت ايران رفضها الاعتراف بالعراق لوضع الطائفة الايرانية التى تعيش فى العراق . ولم تعترف ايران بجارتها الا تحت ضغط بريطانيا فى عام ١٩٢٩ واجريتا محادثات ثنائية ، غير أنها لم تسفر عن اى حلول مرضية للمشكلات القائمة . وقامت الحكومة العراقية بتطبيق قانون اقامة الاجانب

---

(٤) وثائق وزارة الخارجية الايرانية ١٩٢٩ رقم ٢١ الفصل ١٦ ، طهران .

بشكل غير مقبول من جانب ايران . وظلت مشكلة الحدود فى شط العرب وكذلك مشكلة الملاحة بدون حل (١) .

قدم كل من العراق وايران مذكرة بمطالبهما الى عصبة الامم فى عام ١٩٣٤ التى لم تتوصل الى قرار واكتفت بدعوة الدولتين لحل المشكلة . وكان أهم مطلب لايران هو تقسيم السيادة على شط العرب ورسم الحدود بمحاذاة طريق الوادى على جانبى المر المائى (٢) .

وادت الاهتمامات الغربية والبريطانية لاقامة تحالف اقليمى مناهض للسوفييت الى اجراء مفاوضات جديدة والى ابرام اتفاقية جديدة بين كلتا الدولتين تم التوقيع عليها فى ٤ يولية ١٩٣٧ (٣) . وجاءت هذه الاتفاقية منفذة لمطلب ايران حول تحديد الحدود فى شط العرب على طول طريق الوادى ، أما المطالب الاخرى الخاصة باجراء تعديلات فى الحدود واقامة ادارة مشتركة للملاحة فلم توضع فى الاعتبار .

وبناء على الوضع الجديد اقتربت الدولتان احداهما من الاخرى بوصفهما شركاء فى حلف مناهض للسوفييت ، واقامتا حتى عام ١٩٥٨ علاقات وطيدة وهادئة الى حد ما (٤) . وتوارت مشكلة الحدود الى الخلف . وسنقوم بتحليل هذا البعد الاقليمى الذى كان له ـ من وجهة نظرنا اثر فى علاقات الدولتين منذ عام ١٩٣٢ فى فصل خاص .

دخلت الدولتان مرحلة جديدة من مراحل التوتر بسبب الثورة العراقية فى عام ١٩٥٨ التى أطاحت بالملكية الحليفة للبيت الحاكم الايرانى . وأعلنت ايران فى ١٩ ابريل ١٩٦٩ ان اتفاقية عام ١٩٣٧ غير سارية المفعول (فريدمان ١٩٨١ ص ١٦٦) . وتميزت علاقات البلدين فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٥ بالتوترات على الحدود وتأييد القوى المعارضة فى البلد المجاور والتنافس على السيطرة فى الخليج . ونصت اتفاقية الجزائر فى مارس ١٩٧٥ على ضرورة

---

(١) تقرير السفير فيروخى ، فى : وثائق ، طهران عام ١٩٢٠ ، انظر تقرير السفير الايرانى خاديمى فى بغداد ، فى : وثائق طهران عام ١٩٣٠ .

(٢) تقرير السفير الايرانى لدى عصبة الامم ، وثيقة طهران ، عام ١٩٣٤ .

(٣) وثائق ، طهران رقم ٣ الفصل الخامس عشر .

(٤) انظر فى هذا الصدد : الكتاب السنوى لوزارة الخارجية الايرانية عام ١٩٥٨ .

وضع حل نهائى لمشكلات الحدود ومشكلات التعاون الامنى . غير أن الثورة الايرانية التى قامت عام ١٩٧٩ وتغير موازين القوى فى المنطقة الغى هذه الاتفاقية من أساسها .

١ ـ ٥ ـ اتفاقية الجزائر

تعد هذه الاتفاقية المبرمة فى ٦ مارس ١٩٧٥ آخر اتفاقية بين ايران والعراق وتعتبر من وجهة النظر الدولية اساسا لاية تسوية سلمية للحرب الحالية . وقد أثر عاملان جديدان على مضمون وتشكل هذه الاتفاقية فضلا عن خطة الحدود التاريخية ، وهذان العاملان هما :

ـ الصراع الاقليمى وكذلك التنافس على السيادة فى الخليج . وأدى هذا التنافس فى عام ١٩٧١ الى احتلال ايران لثلاث جزر فى الخليج (انظر هاليداى ١٩٧٥ ص ٨٢ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٢) .

. الحركة القومية الكردية فى العراق ، التى أخذت ابتداء من عام ١٩٧٢ بناء على مساندة ايران والولايات المتحدة لها ، بعدا أكثر اتساعا . وتعين على العراق الاعتراف بالمطالب الايرانية مقابل انهاء الدعم الايرانى للحركة الكردية(١)

وجدير بالذكر ان الشاه وصدام حسين نائب رئيس الوزراء العراقى سابقا قد اتفقا فى اطار قمة الأوبك التى عقدت فى الجزائر على النقاط التالية :

ـ وضع تسوية نهائية للحدود على أساس بروتوكول اسطنبول لعام ١٩١٣ وملفات لجنة الحدود فى عام ١٩١٤ .

ـ تحديد الحدود فى شط العرب على طول طريق الوادى .

ـ اعادة الأمن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة وكذلك رقابتهما المشددة لمواجهة العبور غير الشرعى للحدود وما يترتب عليه من أعمال تخريبية.

تعتبر الملاحق المتفرقة للاتفاقية أجزاء من تسوية شاملة ، ولو خرق بند واحد من بنود الاتفاقية تلغى الاتفاقية بأكملها (٢) .

وتتفق الفقرتان الاوليتان مع المطالب الايرانية . ويتبين من قراءة الفقرة الرابعة والثالثة استعداد العراق لتقديم تنازلات . وحيث انه لم يرد اشارة لمطالبة العراق بالجزر التى تحتلها ايران فى الخليج ، فان ذلك يعنى من الوجهة الواقعية التسليم بضم ايران لهذه المناطق .

---

(١) انظر فى هذا الصدد : وثائق الكونجرس الامريكى (تقرير المخابرات الأمريكية الرئيس لا يريدك أن تقرأ) ، صوت القرية بتاريخ ٧٦/٢/١٦ ص ٧٠ ـ ٩٢ .

(٢) انظر فى هذا الصدد نص الاتفاقية فى الملحق .

وظلت علاقات كلا البلدين حسنة حتى قيام الثورة الايرانية ، وتجلى هذا الاستقرار فى العديد من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية • ولكن عاد التوتر من جديد بعد نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ ، وفى ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ - أى قبل بداية الحرب بأيام قليلة - ألغى العراق اتفاقية الجزائر بسبب عدم تنفيذ ايران للاتفاقية الثالثة •

١ - ٦ -هل هو ارث التاريخ ؟

يبين الموجز السابق لقصة الصراعات والحروب والاتفاقيات بين الدولة الايرانية والعثمانية وبين الدولتين الحديثتين ايران والعراق ، جذور الحرب الايرانية العراقية ويوضح مجال الرؤية التى تستند اليها الحرب الحالية وبخاصة مشكلات الحدود والمطالب الاقليمية المختلفة •

ونحاول هنا فى نهاية معالجتنا للموضوع من الناحية التاريخية أن نبرز مدى تأثير الارث التاريخى على اندلاع الحرب وما هى العوامل التى يتعين وضعها فى الاعتبار .

(أ) لم يؤثر الانتماء المذهبى على النزاعات الدائرة بين كلتا الدولتين القديمتين فقط ، بل ايضا على كيان الدول الحديثة . وقدمت ايران نفسها فى هذه الحروب كدولة شيعية ، سيطر على جهازها الرسمى الطابع الدينى والمذهبى. وتسببت علاقات ايران مع الأغلبية الشيعية فى العراق فى نشوب سلسلة من الصراعات فى التاريخ الحديث •

(ب) يعتبر هيكل المجتمع العراقى والدولة العراقية الحديثة ميراثا لهذه التطورات التاريخية . ويرجع التقسيم المذهبى والعرقى فى العراق الى الحروب والنزاعات المذكورة . وتشكل الأغلبية الشيعية ، التى أبعدها الحكام السنيون عن مجالات السلطة ، عنصر سخط ، وقد تصبح تحت ظروف معينة حليفة لايران الشيعية . كما أن الاكراد الموزعين على كلتا الدولتين كانوا ، ولا يزالون ، عامل قلق فى هذا الصراع .

(ج) وهناك خلفية تاريخية لمشكلة الجنسية ، التى تظهر فى البيانات الرسمية لكلا البلدين كدافع للحرب ، بعد أن رحل العراق ما يقرب من ١٠٠ ألف مواطن من أصل ايرانى .

(د) وينطبق ذلك على مشكلة الحدود المستعصية الحل وعلى المطالب الأقليمية لكلا البلدين . وازدادت حدة النزاعات على الحدود وخاصة شط العرب مع ازدياد أهمية الخليج والبعد الاستراتيجى والسياسى التجارى للملاحة .

وهناك عاملان آخران قد يعتبران ارثا مثقلا من التاريخ ، بالرغم من أن جوانب رسمية اعتبرتهما سببا للحرب وهما : تأييد العراق لمطامع السادة

العربية فى منطقة خوزستان وضم ايران لثلاث من الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية فى الخليج .

وتوجد عوامل اخرى كثيرة ساهمت فى اندلاع الحرب وحددت مسارها ، وهذه العوامل ما هى الا نتيجة لتطورات جديدة فى هذه المنطقة . ان الاختلافات الايديولوجية التى ادت الى ظهور تناقضات فى النظام السياسى (قومية عربية ونهضة الاسلام) ، وكذلك تدخل الدول العظمى والكبرى بشكل مكثف ، تعتبر ظواهر جديدة تخضع لعملية تحول مستمرة ، ولابد من رؤيتها فى سياق النظام الدولى والاقليمى الجديد .

٢ ـ الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع

اخذ البعد الاقليمى للصراع الايرانى العراقى اشكالا جديدة بعد الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من أقلمة وتدويل النزاعات المحلية . ولم يمكن التوصل الى حل نهائى لنزاعات الحدود المزمنة . أما السؤال : لماذا أصبحت هذه النزاعات فى غاية العنف فى فترات معينة بينما ساد جو من التعاون بين كلا البلدين فى فترات أخرى ؟ فلا يمكن الاجابة عليه الا عن طريق اجراء تحليل للعوامل الاقليمية ومصالح الدول العظمى المرتبطة بها .

ونحاول فى هذا الفصل تحليل ثلاثة عوامل اخرى ساهمت بجانب التحالفات الاقليمية فى اقليمية النزاع وهى : صراعات الدول العظمى ، ظهور القومية العربية وازدهار الاسلام ، حيث اثر العاملان الآخران بوصفهما جوانب ايديولوجية جديدة تأثيرا بالغا على الحياة السياسية فى الشرق الأوسط .

٢ ـ ١ ـ تاريخ النزاعات الاقليمية :

ساد فى المنطقة جو هادى ومستقر نسبيا فى فترة ما بين الحربين لأن سيطرة الدول العظمى على الشرق الأوسط استطاعت الحد من انفجار قوى الصراعات الموروثة(١) . لقد كان اهتمام الدول الغربية الرئيسى ينصب على اقامة تحالف اقليمى يقف حاجزا أمام النفوذ السوفيتى . وعند بداية العشرينيات ـ ابان صراع الشرق والغرب الأول أرغم الاتحاد السوفيتى أهم دولتين جارتين وهما أفغانستان وايران ، على اتخاذ موقف الحياد . ففى عام ١٩٢٠ عقد الاتحاد السوفيتى مع أفغانستان ، وفى عامى ١٩٢١ ـ و ١٩٢٧ مع ايران اتفاقيات صداقة الزمت كلتا الدولتين بالحياد التام (يودفلت ١٩٨٤ ص ١٢ ـ ١٤ ، انظر كيليك ١٩٥٩ ص ٧١) . ولكن المصالح البريطانية

---

(١) انظر فى هذا الصدد الفصل السادس .

الاقتصادية المتنامية فى ايران (تتمتع بريطانيا بحق التنقيب عن البترول الايرانى واستخراجه وعزلة الاتحاد السوفيتى المتصاعدة ليس فقط بسبب تفاقم الوضع السياسى فى بلاده — أدى الى تقرب افغانستان وايران الى الغرب .

ومما يسترعى الانتباه ان بريطانيا وايران جددتا اتفاقيات استخراج النفط فى عام ١٩٣٣ (بنى صدر عام ١٩٨٠ ص ١٤) . وانتهى الانتداب البريطانى فى العراق عام ١٩٣٢ ، ولكن ابرمت اتفاقيات جديدة ضمنت استمرار النفوذ العسكرى لبريطانيا (سلوجليت ١٩٧٦ ص ٢٦٠) . وبذل البريطانيون آنذاك قصارى جهدهم للتوصل الى تسوية نهائية لمشكلات الحدود ، التى نوقشت فى عصبة الامم ١٩٣٣ ولكن دون احراز نجاح أو توصل الى اتفاقيات ملزمة . وبعد مفاوضات طويلة تم اقامة أول حلف سياسى عسكرى فى المنطقة عام ١٩٣٧ ، اشتركت فيه بريطانيا وايران والعراق وتركيا وافغانستان . ولم يسو ميثاق « سعد أباد » لعام ١٩٣٧ مشكلات التعاون العسكرى ، فقط بل أعلن ايضا الاعتراف بالحدود القائمة واقر اجراء محادثات مباشرة لتصفية مشكلات الحدود التى لا تزال بدون حل وكذلك ايجاد حل سلمى لكل الخلافات الدولية (ميثاق سعدابان ، طهران ، يوليه ١٩٣٧) . وفى ٤ يوليو جرى فى نفس المكان وكنتيجة لهذا التقارب الاقليمى التوقيع على اتفاقية ايرانية عراقية جديدة . ويتضح من الوثائق الايرانية ان ايران لم تكن مستعدة للتوقيع على هذه الاتفاقية الا تحت ضغط بريطانيا فقط وتحت تأثير الاتفاقية العسكرية (١) .

وتلى هذه الاتفاقية سبع اتفاقيات أخرى بين كلتا الدولتين ، سويت فيها مشكلات الحدود والجنسية وقانون الاقامة ونظمت العلاقات التجارية الثنائية (٢) . واثرت روح ميثاق سعد أباد على تعايش كلا البلدين فى الاعوام التالية ، وخلقت جوا خاليا نسبيا من النزاعات .

ابرمت بريطانيا وايران والعراق وباكستان وتركيا حلف بغداد ١٩٥٥ . باشتراك الولايات المتحدة كمراقب (انظر كالفوكريس ١٩٧١ ص ١٨٦) . وكان طابع هذا الحلف المناهض للسوفييت واضحا وبخاصة فيما يتعلق بمصالحه الاستراتيجية ، حيث ان الاتحاد السوفيتى الذى خرج من الحرب العالمية

---

(١) تقرير السفير الايرانى لدى عصبة الامم فى : الكتاب السنوى *I* ، *A* ، *M* طهران ١٩٣٧ ، انظر ايضا جيركه / وفينر ١٩٧٥ ص ١٦٥ .
(٢) نصوص الاتفاقيات السبع فى الكتاب السنوى *I* ، *A* ، *M* ،طهران ١٩٣٧

الثانية كدولة عظمى جديدة كان يبذل قصارى جهده للحصول على منطقة نفوذ فى سوريا ومصر (دينكاوس ١٩٨١ ص ٤٥ ، ٥٤) .

وأدت الثورة العراقية فى يونية ١٩٥٨ الى حدوث توتر سياسى مع ايران . وحاولت الكثير من العناصر المعارضة — وبخاصة الاكراد الذين كانوا مضطهدين فى ايران — الفرار الى حكومة العراق المناهضة للامبريالية ، وعلى الجانب الآخر هرب كثير من كبار الملاك والقوى الموالية للنظام الملكى الى ايران . وأصبحت كلتا الدولتين أماكن للجوء للعناصر المعارضة ، التى تتعاون معها « الدول المضيفة » . وأصبحت هذه الاوضاع المتناقضة مادة جديدة للنزاعات .

وتزايدت حدة الاستقطاب لهذا النزاع الثنائى بشكل ملحوظ فيما بعد . فقد انحققت الاطاحة بالنظام العراقى ضربة قاسية بحلف بغداد واختيرت انقرة مقرا جديدا للحلف) ، وأدى ذلك الى حدوث تقارب بين العراق والاتحاد السوفيتى . وأصبح العراق أهم حليف للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط على الاقل فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ (أجينا ١٩٧٣ — ص ٥٢ انظر دينكاوس ١٩٨١ ص ٣٣ ، ص ٨٥ ٨٦ ، وكذلك هارى ١٩٦٠ ص ٢٠ ف) . وأدت التغييرات التى طرأت على النظام الدولى بعد الحرب العالمية الثانية الى تدنى اهمية الدول الاوربية وصعود الولايات المتحدة الامريكية الى مصاف الدولة العظمى القائدة الى قيام الولايات المتحدة بطرد بريطانيا التى كانت تعتبر اقوى دولة غربية فى الشرق الاوسط والحلول محلها ، بل اصبحت بعد انقلاب ١٩٥٣ عاملا حاسما فى ايران (بنى صدر ١٩٨٠ ص ١٨ — ٢٠) . وتواكب استيلاء حزب البعث العراقى الاشتراكى على الحكم فى عام ١٩٦٨ مع واحد من أهم الاحداث السياسية بعيدة المدى الا وهو انسحاب بريطانيا من الخليج والبحر العربى . وسعت كلتا الدولتين العظميين وحلفاؤهما الى ملء الفراغ الذى أحدثه انسحاب بريطانيا . وسعت كل من ايران والعراق — أهم وأقوى دولتين فى الخليج — للسيطرة على الخليج . ولا يزال هذا التنافس طابع العلاقات بين الدولتين حتى يومنا هذا (انظر هاليداى ١٩٧٥ ص ٧٥ — ٨٠) .

وكانت مطامع السيطرة الاقليمية مرتبطة فى جانب منها بموازين القوى الجديدة بين الدول العظمى وبالعلاقات بين الدول العظمى وحلفائهما فى الجانب الآخر . وأصبحت ايران أهم حليف للولايات المتحدة بجانب اسرائيل ، وعظمت ايران قوتها الاقتصادية والعسكرية الضاربة فى بداية السبعينات ، بحيث اصبحت أقوى قوة عسكرية قيادية فى المنطقة ، بل ثانى اقوى دولة (بعد الهند) فى المحيط الهندى . اما سياسة الشاه التى كان ينتهجها والتى أعطت لايران دور الشرطى الاقليمى فقد كانت ترمى الى هدفين : أولهما حماية المصالح الاقليمية الغربية ومقاومة الميول الثورية فى المنطقة . ففى اقليم « ظفار » بعمان

كانت هناك حرب عصابات يسارية تساندها الصين والعراق ، تثير قلق القوى الحاكمة في الخليج كما فجرت الثورة الفلسطينية موجة راديكالية . ولم يمكن القضاء على الثورة في عمان الا بمعونة التدخل المباشر للقوات المسلحة الايرانية . واستولت ايران في عام ١٩٧١ على أهم ثلاث جزر استراتيجية في الخليج (أبو موسى ، وطنب الصغرى والكبرى) التي كانت تابعة لدولة الامارات العربية (هاليداى ١٩٨١ ص ٢٥ — ٣٢ ، ص ١١٢ — ١١٦ ، انظر بودفات ١٩٨٤ ص ٣٦ — ٤٨) (١) .

وأدى التوتر الداخلي في العراق (حركة المقاومة الكردية) والعوامل الاقليمية (نهضة ايران) الى التقارب العراقي — السوفيتي . ووصل هذا التقارب العراقي — السوفيتي ذروته بتوقيع معاهدة الصداقة في ابريل ١٩٧٢ وتشكيل حكومة ائتلافية بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي الموالي للاتحاد السوفيتي (بودفات ١٩٨٣ ص ١٠ — ١٩) .

وأدى الارتفاع الهائل في أسعار البترول وما صاحبه من ارتفاع في الفوائد التي تدفقت على تسليح الجيش في كلا البلدين ، الى زيادة أطماع السيطرة الاقليمية لكلا البلدين . وتميزت هذه الفترة بهزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية ، ووقفت هذه التجربة والخوف من تورط جديد في نزاع اقليمي — عائقا أمام تطبيق مبدأ نيكسون ، الذي كان يمنع الولايات المتحدة الامريكية من التدخل العسكري المباشر بينما يسمح لها بتقوية الحلفاء الاقليميين . واكدت زيارة الرئيس الامريكي نيكسون لايران دور واهمية هذا البلد كعامل قوة اقليمي في مفهوم نظرية نيكسون (خوبين ، تسابيب ١٩٧٤ ص ٢٤٦ ، انظر كيسنجر ١٩٧٩ ص ٣٤٠) .

لم يكن الدور الذي لعبته هاتان الدولتان بالنسبة للمعارضة هو السبب في اشتعال الصراعات والاستقطاب الدولي وأطماع السيطرة الاقليمية على المنطقة . واطلق الرئيس العراقي صدام حسين على هذا الصراع ذات مرة « صراعا بالنيابة » .

٢—٢— تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة :

وصل النزاع بين ايران والعراق ذروته في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ حيث ظهر تنافس كلتا الدولتين المطمحين على المستوى الاقليمي . وكثفت ايران

---

(١) كانت مطامع السيادة ملحوظة من جانب العراق أيضا . فقد طالب رسميا في عام ١٩٦١ بالكويت المقامة حديثا واعتبرتها جزءا من مقاطعة البصرة (خضوري ١٩٧٤ ص ٢٢٧ — ٢٣٤) وطالب في عام ١٩٧٣ بكلتا الجزيرتين الكويتيتين بوبيان وعربه ، حتى « يمكن أن يكون العراق بذلك دولة من دول الخليج » (كيلي ١٩٨٠ ص ٢٨٣) .

والولايات المتحدة تأييدهما المشترك للحركة القومية الكردية فى العراق وذلك بعد عقد اتفاقية الصداقة العراقية السوفيتية . وحاولت الولايات المتحدة ، كما اتضح فيما بعد من وثائق امريكية ، من خلال تأييدها للحركة القومية الكردية الضغط على النظام فى العراق للحيلولة دون تقوية التحالف العراقى السوفيتى (تقرير بيك ٢٦ ، انظر ابراهيم ١٩٨٣ ص ٧١٩ — ٧٢٤) .

واشترك الجيش الايرانى الى حد ما فى حرب المقاومة اليسارية التى يساندها العراق فى سلطنة عمان . فى هذا الوقت كان اعتماد العراق على المعونات العسكرية السوفيتية فى تزايد مستمر . ولم تستخدم اسلحة ومواد حربية سوفيتية فقط فى الحرب ضد الحركة القومية الكردية بل اشترك أيضا مستشارون عسكريون وطيارون سوفييت (زيم ١٩٨٠ ص ١٢) .

ورأى العراق نفسه مضطرا ، تحت الظروف المذكورة وتحت تأثير حركة المقاومة الكردية الجيدة العدة والعتاد (١٠٠ ألف رجل) ، الى ابرام اتفاقية جديدة فى الجزائر مع ايران فى مارس ١٩٧٥ ، خضع فيها لمطالب ايران الجوهرية . واثرت هذه الاتفاقية ، التى ابرمت تحت ظروف تورط الدول العظمى الاقليمى ، على الوضع السياسى فى المنطقة وادت الى قيام تحالفات جديدة . وابتعد العراق بعد ابرام الاتفاقية عن الاتحاد السوفيتى ، واقترب من ايران والدول العربية المحافظة وبخاصة المملكة العربية السعودية . وحجب تأييده عن حركة المقاومة فى عمان ، وانتهج سياسة معتدلة فى المنطقة . واوضح هذا التحول السياسى تصريح صدام حسين نائب الرئيس العراقى وقتذاك ، الذى يفيد بتقديم العراق معونات عاجلة للسعودية فى حالة اى غزو سوفيتى (فريدمان ١٩٨١ ص ١٨٤) . وهكذا تم الغاء الائتلاف بين حزب البعث والحزب الشيوعى الموالى للسوفييت وانكمشت العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتى ، وازدهرت — على العكس من ذلك — التجارة مع الدول الغربية (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٦ف ، انظر يودفات ١٩٨٣ ص ٨٧ف ، ١٢٩) .

ومع ذلك لم يحدث تحول حقيقى فى السياسة العراقية ، فالتنافس مع ايران وبخاصة حول السيادة على الخليج ، كان الطابع المميز للعلاقة بين البلدين . فضلا عن ان العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة لم تكن قد استؤنفت بعد ، اما العلاقات مع الاتحاد السوفييتى فكانت ذات أهمية من بعد مثلما كانت من قبل . وادت اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية والسياسة العربية التى كانت موجهة ضد هذا الصلح المنفصل فى النهاية الى عدم الاستقطاب فى المنطقة بل ترتب على ذلك تورط اقليمى معقد ومتشعب للدول العظمى فى المنطقة . نحاول فى نهاية هذا الفصل تحليل سياسة الدول العظمى فى هذا الوضع الجديد قبل اندلاع الحرب الايرانية العراقية .

ولم يؤد انتصار الثورة الايرانية الى تغيير الظروف السياسية فى المنطقة فقط ، بل ادى ايضا الى وقف عملية التقارب التى كانت مستمرة منذ عام ١٦٧٥ بين العراق وايران (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٦٢٧ — ٦٣٠) . ونظرا لان النزاع العراقى الايرانى يوصف دائما بأنه ايديولوجى بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، فسوف نتناول فيما يلى هذين العاملين بوصفهما ظاهرتين مهمتين اقليميتين اشتركتا فى تقرير هذا الحرب .

٢ — ٣ الوحدة العربية :

تعتبر القومية العربية التى سعت الى توحيد الامة العربية المقسمة الى دول عديدة — تعتبر هذه القومية ظاهرة حديثة نسبيا لم تتبلور الا بعد الحرب العالمية الثانية . فقد وجه القوميون العرب المحدثون نظريتهم متأثرين بذلك بالمفهوم الاوربى « للامة » والدولة القومية — بصفة خاصة الى الامة العربية التى قسمها الاستعمار (انظر طيبى ١٩٧١ ص ٦٨ — ٨٤) .

ظهرت الفكرة القومية فى آخر مراحل الدولة العثمانية . فقد جرى التفكير فى اختراع قومية عثمانية على النمط الأوربى الحديث لتحويل انظار المجتمع الاسلامى الضعيف البنية الى وحدة جديدة . غير أن ازدهار وسيطرة القومية التركية فى الدولة العثمانية دفعت العناصر الكردية والعربية الى الابتعاد . وتشكلت كرد فعل على هذه السيادة التركية التصورات والاهداف القومية العربية . ومن سخرية التاريخ أن يكون المنظرون الاوائل للمفهوم الفاشل للقومية العثمانية هم الذين أسسوا القومية العربية مثل الحصرى (انظر كوثرانى ١٩٨١ ص ٧٨ ف) .

وتجد بتأسيس حزب البعث الاشتراكى العربى فى عام ١٩٤٧ — اول تعبير تنظيمى عن هذه الايديولوجية . وقد قدم هذا الحزب ، الذى تأسس فى سوريا بمشاركة واضحة من عرب مسيحيين ، نفسه على أنه منظمة عربية وحدوية وان كان له تنظيمان فى بلاد عربية اخرى . وكان هدفه السياسى النضال ضد التقسيم الامبريالى للعالم العربى (انظر اسماعيل ١٩٨٣ ص ١١٠ ف ، انظر مفيزل عام ١٩٨١ ص ٣٦١ — ٣٨٣) .

وتأسست فى ١٩٥٢ حركة عربية قومية اخرى وهى حركة القوميين العرب وانعقدت الجمعية التأسيسية لهذه الحركة فى بيروت باشتراك عدد كبير من طلبة الجامعة الامريكية وكثير من المسيحيين (ومؤسسها د . جورج حبش) (انظر طيبى ١٩٧١) .

وبالرغم من ان كلا الحزبين العربيين الوحدويين تشكلا فى بلاد عربية مختلفة ، وكونا منظمات فى بعض البلاد (من بينها العراق ايضا) بالرغم من هذا نجد ان ايديولوجية القومية العربية لم تتطور الى فكرة لها اهمية اقليمية الا فى عهد ناصر . فقد اعتمد ناصر — بوصفه زعيما لاكبر واهم دولة

عربية ، فى الصراع مع اسرائيل والدول الغربية — اعتمد ناصر على افكار وتصورات القومية العربية ، بالرغم من عدم توفر القاعدة الايديولوجية لذلك فى مصر نفسها وكانت عناصر القومية العربية قد نشأت . حتى ذلك الحين فى الدول العربية الشرقية بصفة خاصة . ولم تأخذ هذه الافكار شكلا اجتماعيا وأيديولوجية واضحا الا فى عهد ناصر على هيئة مفهوم عربى للاشتراكية (ناصر ١٩٥٧ ، انظر خضورى ١٩٨٥ ، ص ١٧٤ — ١٨٠) .

وبرغم الصيغ والتصورات المختلفة لفكرة القومية العربية ، كانت كافة التنظيمات والاتجاهات المختلفة تتفق فى النقاط التالية :

- حتمية الثورة العربية ، ازالة الحدود التى خلقها الاستعمار بالاكراه ، واقامة أمة عربية موحدة .

- مقاومة اسرائيل بوصفها دولة زرعها الغرب فى قلب العالم العربى .

- اقامة نظام سياسى واجتماعى مستقل عن الغرب والشرق ، يأخذ الشكل الاشتراكى ، ويختلف عن النموذج الماركسى السوفيتى ببعض الخواص (عفلق ١٩٦٢ ص ١٩٣ — ١٩٨ ، ص ٢٠٦ — ٢١١ ، انظر خضورى ١٨٥ ص ١٣٣ — ١٣٦) .

وهكذا أصبحت القومية العربية فى الستينيات احدى الظواهر الهامة وأحد عوامل القوة فى العالم العربى . ودفع تأثير القومية العربية على طبقات مثقفة وعصرية وبخاصة على أجزاء من الجيش ، دفع هذا حركات المقاومة لاعتلاء قمة السلطة . فقد استولى حزب البعث الاشتراكى العربى على السلطة فى العراق فى شهر فبراير ١٩٦٣ وفى مارس من العام ذاته استولى على السلطة فى سوريا ، كما قامت فى اليمن الجنوبى « الجبهة الوطنية لتحرير اليمن الجنوبى » (احدى فروع حركة القوميين العرب التى تكونت فى بيروت) بحملة ضد السلطة الاستعمارية البريطانية ، وأطاحت حركة التحرير الجزائرية تحت قيادة بن بيلا عام ١٩٦٢ بالاستعمار الفرنسى بعد حرب استغرقت ثمانى سنوات وأيضا بفضل الدعم الهائل من جانب ناصر .

وجدير بالذكر أن مصر فى عهد عبد الناصر تولت القيادة فى العالم العربى وأصبحت فكرة القومية العربية هى الحافز الرئيسى فى الحرب ضد اسرائيل وسهلت أيضا عملية التعبئة الجماهيرية فى هذا الصراع . وقامت مصر بارسال قوات الى اليمن الشمالى لمساندة القوى الجمهورية فى الحرب الاهلية ضد العناصر الملكية التى تساندها السعودية . وأقامت مصر وسوريا جمهورية عربية متحدة فى عام ١٩٥٧ . ولدى النفوذ المتزايد لناصر فى لبنان اثناء الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٥٨ الى نزول وحدات قوات أمريكية (انظر خضورى ١٩٧٤ ص ٨٠) .

وابت القومية العربية كظاهرة جديدة تجاوزت الحدود أى قيام تحالفات اقليميـة جديدة . فانقسم العالم العربى الى جبهة راديكالية ديناميكية بزعامة ناصر وأخرى محافظة استاتيكية بزعامة السعودية والاردن ودول أخرى . وسرعان ما انفجر الصراع فى نهاية الخمسينيات بين عامل القوة الاقليمى الطامع وهو ايران بزعامة الشاه وبين القومية العربية بزعامة عبد الناصرحول هوية الخليج هل هو عربى أم فارسى — وأثر هذا البعد الاقليمى النزاع على ميزان القوى الاقليمى للدولتين العظميين بل أثر على مصير القومية العربية نفسها .

وكانت أهم سمات الفكر القومى العربى فى البداية هى العداء للشيوعية والاتحاد السوفيتى . وكانت الشيوعية تعتبر العدو الايديولوجى الرئيسى للاشتراكية العربية (خضورى ١٩٨٥ ص ١٦٤ — ١٦٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن المواجهة مع العالم الغربى حضارية وايديولوجية . ولم يعط القوميون العرب فى محاربتهم للاستعمار والسيطرة السياسية الغربية ومطالبتهم بالاستقلال ، اهتماما كافيا للبعد الاقتصادى والحضارى للاستقلال ، بل انهم اعتبروا النموذج الغربى هو النموذج الاساسى للدول حديثة الاستقلال . على الرغم من المواجهة السياسية فى الغرب ومقاومة وجوده . ويكمن ضعف ايديولوجية القومية العربية فى غياب الوعى بشكل هذه الايديولوجية الأمر الذى ساعد على فقدان القومية العربية لاهميتها فى السبعينيات وعلى نهوض الإسلام .

وأثرت النتائج السياسية على موازين المنافسة بين الدول العظمى تأثير واسع المدى . ورأت القومية العربية التى حاربت المستعمرات القديمة فى اليمن الجنوبية والجزائر والنظم التى يؤيدها الغرب وكذلك اسرائيل التى يؤيدها الغرب أيضا رأت نفسها متصادمة مع الغرب ، برغم الموقف المناهض صراحة للشيوعية ، الى التحالف مع الاتحاد السوفيتى . وأصبحت القومية العربية بعد تأييد الاتحاد السوفيتى لمصر فى حرب ١٩٥٦ — والتطورات الثورية فى العراق وبعض دول عربية أخرى قناة النفوذ للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية . كما شكلت الانظمة القومية العربية فى العراق وسوريا وأيضا فى مصر فى عهد ناصر التى كانت تقوم بقمع دعوى للمعارضة الموالية للسوفيت — شكلت هذه الانظمة تحالفا اقليميا مع الاتحاد السوفيتى موجها ضد الغرب .

ولم يكن هذا التحالف اختراقا لتحفظات القومية العربية المناهضة للشيوعية فقط بل أيضا اختراقا للعقيدة الستالينية المناهضة القومية فى الايديولوجية السوفيتية . ولم يتوقف الجدال الايديولوجى الذى استغرق سنوات طويلة مع القومية العربية الا بتطبيق مبدأ خروشوف المسمى الذى

اعترف بالمضمون التقدمى والمناهض للاستعمار للايديولوجية القومية العربية صانع ١٩٨٣ ص ١١٨ — ١١٩ ، انظر داويشا ١٩٨٢ ص ١٠ ف ؛ .

وثمة ركن هام فى موضوعنا هو وضع الاسلام فى مفهوم القومية العربيـــة وتختلف مواقف القومية العربية المختلفة من الاســـلام اختـــلافا كبيرا . ولقـــد أكد ناصر أهمية الاسلام بالنسبة للقومية العربية وارتباط الاسلام بالقوميـــة العربية (انظر ناصر ١٩٥٥ ، خضورى ١٩٨٥ ص ١٨١ ف ، ١٩٤) . ويعود راى ناصر الى النفوذ القوى للاسلام فى بنية المجتمع المصرى . غـــير أن حزبا البعث فى العراق وسوريا اتخذا موقفا متباعدا وناقدا للاسلام ولا يرجع ذلك فى المقام الاول الى تركيبة قيادة الحزب .

عموما كانت القومية العربية علمانية . وظهر ذلك من مثال حزب البعث — وكانت هذه الايديولوجية تهدف الى فصل الدين عن السياســـة ولا ترى فى الاسلام الا ارثا تاريخيا . فقد ساهم الاسلام فى الواقع فى تكوين الأمة العربية ، مع أنه مرفوض من وجهة النظر العصرية لانه عنصر محافظ ورجعى ولا يقدم اى بديل سياسى واجتماعى (عفلق ١٩٦٣ ص ١٢٢ — ١٣٦) ، انظر (زبلادية ١٩٨١ ص ١١١ — ١١٨) . واصبح واضحا أن هناك حتمية للمواجهة بين هذا المفهوم الايديولوجى وبعض التيارات الاسلامية .

وتدهور حزبا البعث فى العراق وسوريا للصراع بين مراكز القوى المتنافسة بعضها مع بعض ، كما انمحت الناصرية بموت مؤسسها فى عهد السادات . وحاول العراق استغلال عزلة مصر بعد اتفاقية السلام مع اسرائيل ، ليتولى قيادة العـــالم العربى . وساعد فى تنفيذ هذه المطالب السياســـية عوائد البترول الضـــخمة وتدعيم القوة العسكرية وكذلك الطموح الشخصى للرئيس العراقى صدام حسين. فالعراق يمثل — وفقا لفكرة عربية قومية قديمة — البوابة الشرقية للعـــالم العربى ، التى تستطيع حماية الوحدة العربية من أى تهديد خارجى ياتيها من دول غير عربية .

٢ — ٤ — الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية

نظرا لان مفهوم الوحدة الاسلامية مرتبط بالنهضة الاسلامية الحديثة وكذلك بالثورة الاسلامية فى ايران ودائما ما يعتبر ظاهرة أساسية فى الحرب العراقيـــة الايرانية الحالية — وهذا سبب يؤدى دائما الى سوء التفاهم — أصبح من الضرورى شرح العلاقة ما بين الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية .

ويرجع مفهوم الوحدة الاسلامية الى المصلح الاسلامى جمال الدين الافغانى، الذى أراد ان يضفى بافكاره وحركته السياسية فى نهاية القرن الماضى بعدا اسلاميا جديدا على الدولة العثمانية التى تعرضت لاختراق غربى متعدد الجوانب فاقترح

الأفغانى العديد من الاصلاحات بهدف استقلال البلاد الاسلامية عن النفوذ الغربى وبهدف اتحاد الشعوب الاسلامية بحيث يتولى العرب بوصفهم أكبر شعب اسلامى دور القيادة ٠ وبرغم الصدى الواضح لهذا المفهوم ــ والذى لا يزال يؤثر للآن ــ نجد أن ذلك لم يؤثر فى مصير « الرجل المريض » ٠ (عمارة ١٩٨٥ ص ٣١٣ ــ ٣١٦ ، انظر خضورى ١٩٨٠ ص ٧١ ــ ٧٧ ، انظر اقبال ١٩٨٥ ص ٨٧) .

ولم يؤثر المفهوم الاسلامى بعد انهيار الدولة العثمانية أدنى تأثير على السياسة الموضوعية كما كان من الصعب أن يكون هذا المفهوم بديلا موضوعيا للدول القومية ٠ ولا يمكن النظر الى النهضة الاسلامية فى السنوات الاخيرة الا فى الاطار المحدود لها لهذه الافكار التاريخية (انظر عمارة ١٩٨٥ ص ١٦٧ ١٧٠)٠

ولم يظهر فى مرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الاولى (انهيار الدولة العثمانية) ونهاية السبعينيات (ظهور « النهضة » الاسلامية العصرية الجديدة) أى حركة اسلامية كبديل سياسى ، باستثناء (الاخوان المسلمون) ٠ وحكمت الدول الحديثة طبقات عصرية وقوى قومية (قومية عربية وقومية ايرانية وقومية تركية) أهملت دور الاسلام كعامل سياسى ٠

ولكن المؤسسة الدينية وبعض جماعات اسلامية اخرى كانت تعترض على السياسة العصرية التى تعترض على تدعيم الاسلام كبديل سياسى ٠ غير أن المنظمات الاسلامية ، مثل (الاخوان المسلمون فى مصر) ، تصالحت مع الدولة الحديثة منذ عام ١٩٢٨ وقصرت أنشطتها السياسية على تنفيذ الاصلاحات الاسلامية داخل هذه الدول (انظر خضورى ١٩٨٥ ص ٨٨ ــ ٩٦) وتعد النهضة الاسلامية اليوم تعبيرا عن المواجهة مع الحضارة الغربية ونتيجة لها . فهى تمثل حركة تاريخية فى جزء من العالم الثالث ، ينعكس عليه دائما الصراع بين الشمال والجنوب الذى ينتهى دائما الى طريق مسدود ٠ ولا يمكن تفسير النهضة الاسلامية ــ كما تقدمها وسائل الاعلام الغربية خطأ ، على انها عودة الى الدين بل انها تتضمن قبل كل شىء عوامل حضارية وسياسية متعددة . فالاستعمار وما واكبه من تطور اجبارى أدى الى اغتراب عميق وأزمة اجتماعية متعددة الجوانب فى المجتمعات المستعمرة ومجتمعات ما بعد الاستعمار ، وتشكل هذه الأمور الخلفية التاريخية للنهضة الاسلامية .

ودفع انهيار القومية ــ وبخاصة العربية ــ وكذلك البناء الضعيف والهش للدول القومية الحديثة فى الشرق وعدم كفاءة الطبقات الحاكمة فى ضمان تطور اجتماعى يتناسب مع ظروف مجتمعهم ، دفع هذا كله ــ بجانب عوامل أخرى كثيرا من الناس وبخاصة الدوائر المثقفة للبحث عن بديل جديد فى الاسلام بوصفه نظاما اجتماعيا قائما منذ أكثر من ألف عام ويتطور باستمرار ٠ ويمكن فهم النهضة الاسلامية اذا وضعنا نصب أعيننا فشل عملية التحديث طبقا

للنموذج الغربى (مثل تركيا ، وايران فى عهد الشاه) ، وفشـــل البدائل اليسارية التى حاولت فرض نموذج غريب على المجتمع دون مراعاة لتـــاريخ وحضارة وتقاليد البلاد ٠

واذا كانت الثورة الاسلامية فى ايران قد استفادت من طموحات النهضة الاسلامية فى المنطقة فانها لم تكن سببا بل رمزا لهذه النهضة ٠ وبجانب الثورة الايرانية يمكن رصد احداث اخرى تشير الى أن الاسلام أصبح عاملا سياسيا جوهريا فى المنطقة (انظر ديكمجيان ١٩٨٥ ص ٦ — ٨) :

— احتلال المسجد الحـــرام فى مكة والتمرد فى الاقليم الشرقى من السعودية ٠

— المقاومة الاسلامية ضد الغزو السوفيتى لافغانستان ٠

— الحركة الاصولية الاسلامية المسلحة ضد نظام البعث فى سوريا ٠

— اغتيال الرئيس السادات وازدياد قوة التيارات الاسلامية فى مصر بعد الاغتيال ٠

— النهضة الاسلامية فى السودان وتطبيق الشريعة الاسلامية فى هذا البلد ٠

— الانتفاضات الشعبية فى الجزائر وتونس والمغرب ٠

— اعتداءات بالقنابل فى الكويت ومحاولات التخريب فى البحرين .

— المقاومة الاسلامية والاعمال الانتحارية فى لبنان ضد الاسرائيليين والقوات الفرنسية والامريكية (ويكمجيان ١٩٨٥ ص ٣) .

ورغم اختلاف هذه الاحداث نجد أن هناك شيئا واحدا يربط بينها وهو رفع راية الاسلام . ولقد أصبح الاسلام الايديولوجية الرئيسية فى العـالم الاسلامى ، ومع ذلك لا يزال المصـــير السياسى لهذه النهضة الاســلامية الجديدة غامضا . فالنهضـــة الاسلامية نفســها ليست ظاهرة موحـــدة على الاطلاق فكثير من الاتجاهات الأصولية المتطرفة التى تســـير بمصير النهضة الاسلامية الى طريق مسدود . ويجب مراعاة الجوانب التالية عند النظر الى العلاقة بين القومية الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية فى ايران لا .

(أ) بالرغم من أن الهـــدف المعلن للحركة الاسلامية هو اقامة وحـــدة اسلامية نجد أن الحركات الاسلامية المختلفة مرتبطة بالحدود القومية والتبعية المذهبيـــة . فأغلب المنظمـــات الاسلامية تطور انشطتها فى اطـــار التبعية القومية والمذهبية فقط ، مثل حزب الدعوة فى العراق ، وجبهـــة التحـــرير الاسلامية فى البحرين أو حركة الاتجـــاه الاسلامى فى تونس . وهناك بعض

الجماعات ، فى لبنـــان مثلا تقصر انشطتها على جـــزء من البـــلد (ديكمجيان ١٩٨٥ ص ١٢٧ — ١٢٩ — ١٤٩) . وتعـــد (الاخوان المسلمين) المنظمـــة الاسلامية الوحيدة التى انتشرت فى بلاد متعددة . ولكن لا يوجد اتصـــال بين التنظيمـــات المتفـــرقة فى مصر والأردن ودول أخـــرى ، الأمر الذى يتضـــح فى الممارسات السياسية المختلفة . فهم يعتبرون وحـــدة العلم الاسلامى الهدف السياسى الوحيد ولكنه لا يوجد فى جدول الاعمال : فليس لدى الاخوان المسلمين مفهوم اسلامى وحدوى حديث (انظر ديكمجيان ١٩٨٥ ص ٨٥—٨٩) .

(ب) شهدت البلدان الاســـــلامية فى الآونة الاخيرة خلافات قوية ، واصبحت هذه الظاهرة تشكل الوجه السلبى للنهضة الاسلامية . فعلى حين اهتم الأزهر فى وقت ما — بتشـــــجيع من ناصر وبمساعدة رجـــــال الدين الشيعيين فى كل من ايران واليمن — بالتقـــريب بين التيارات المذهبيـــة المختلفة ، أظهـــر نشاطا فى هذا الصـــدد — نجـــد أنه لا يمكن ملاحظة مثل هذه المساعى فى العشرين سنة الأخيرة (انظر شلتوت ١٩٨٤ ص ١٥ — ١٩) وحتى ايران ، بالرغم من ادعاءاتها الاســـلامية على هذا المســـتوى لم تقم بأية مبادرة ملموسة . بل أدت الاختلافات المذهبية — مثلما يحـــدث فى لبنـــان — الى مواجهـــات مذهبية — الأمر الذى جـــرد المثـــال الايرانى من جاذبيته للعالم الاسلامى .

ومن الجدير بالذكر أن حركة الوحـــدة الاسلامية التى دعا اليها الأفغانى فى مستهل القرن العشرين وجدت لها فى مصر وبعض دول عربيـــة أخرى ، وليس فى ايران قاعدة (انظر عمارة ١٩٨٥ ص٢٢٣ ف ، ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٣٢٠). ويقف الطابع الشـــيعى للنظام الاســـلامى فى ايران فى حـــد ذاته حائلا أمام أى مسعى للوحدة تحت قيادة شيعية . وينطبق ذلك ايضا على الشعارات الايرانية التى تتحـــدث عن نشر الثورة الاسلامية وليس مفهوم الوحـــــدة الاسلامية .

وتعتبر النظرية الايرانيـــة الخاصـــة « بولاية الفقيـــه » من التعاليم الشيعية البحتة ، التى ما زالت موضع خلافات حتى داخل الاوساط الدينية الشيعية نفسها وهذه النظرية ترفضها المدارس الدينية السنية (عمارة ١٩٨٥ ص ٢٣٩ — ٢٤٤ ، انظـــر ديكمجيـــان ١٩٨٥ ص ٤٢ — ٤٦) . وقد ترتب على ذلك ضيق المجال الطبيعى « للثورة الايرانية » غير أن النفوذ الايرانى قد يؤدى الى زعزعة الوضع فى البلاد التى بها أقليات شيعية ، مثل العراق والبحرين وبعض دول اخرى فى الخليج أو يؤثر على تغيير ميزان القـــوى فى هذه البلاد بين الشيعة والســـنة ، ولكن لا يمكن أن يؤدى الى حـــدوث تحول جذرى واساسى أو حتى اتفـــاق اســـلامى وحدوى مع ايران (انظـــر ديكمجيان ١٩٨٥ ص ١٥٦ — ١٥٧) .

على الرغم من التوجه الايديولوجى الاسلامى لايران والتوجه القومى العربى للعراق ، نجد انه قد يكون غير كاف اعتبار النزاع العراقى الايرانى تعبيرا عن صراع بين الوحدة الاسلامية والقومية العربية . وان كان هذا التشخيص يوجد فى دعاية كلا البلدين ، ولكنه لا يصلح اطلاقا لتوضيح الاسباب الحقيقية للحرب ... ويقول آية الله خومينى .

« انكم تعرفون أن هذه الحرب بين ايران ونظام البعث العراقى عبارة عن حرب بين الاسلام والكفر ، بين القرآن والالحاد » . « يجب على الشعب الايرانى أن يعرف انه يحارب لخدمة الاسلام . دافعنا هو مبادىء الاسلام . وما زالت تقاليد المناضلين المسلمين الاوائل باقية . لقد واجه النبى صعوبات جسيمة : ولكن بالرغم من ذلك قاوم . واود أن الفت نظر شعبنا الى ما يلى : ان القضية هنا تتعلق بالاسلام .. ونحن نناضل من أجل الاسلام وندافع عنه » . (رسالة الخومينى فى ١٩٨٠/٩/٢٤) (٥) .

وتقول النظرية الايرانية الرسمية عن القومية :

« لا يمكن أن يكون طابع جمهورية ايران الاسلامية قوميا والا ما كانت اسلامية بعد ذلك ، لان الاسلام لا يعرف (الوطن) كمفهوم اسمى » ولكن الامة جميعا . والوطن مفهوم أدنى من الامة .. ان ايران دولة ذات شعوب متعددة . ويجب الا يرد على ذهن أى جماعة من هذه الشعوب انها تتمتع بأهمية اكبر من الاخرى » (اقبال ١٩٨٥) .

ويحدد النظام العراقى الاتجاه الدينى لقيادته الاسلامية فى تأكيده التوجه القومى بقوله :

« يفكر الخومينى بطريقة طائفية مذهبية عقدية جامدة — ويرفض اما عن عدم معرفة أو لمجرد تعنت فكرى مثل الامة والوطن ، التى لا تتعارض بأى حال من الاحوال مع النواحى الدينية » (اقبال ١٩٨٥) .

وما زالت هذه التصورات موضع جدل ولا يمكن الدفاع عنها علميا . ولا يوجد هناك داع لوصف نظام البعث العلمانى بأنه كافر ، لان الدستور العراقى يعترف بالاسلام كأساس دينى للدولة . وايضا اذا رفضت القيادة الايرانية مفهوم الوطن وحددت ايران بأنها دولة متعددة الشعوب على أساس « أمة » ، فلا تكون الجمهورية الاسلامية خالية من الطابع القومى . كما أنه عند انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ منع جلال فاريسى زعيم الحزب الجمهورى الاسلامى من الترشيح لأن والده من أصل أفغانى (ايتلات ١٩٨٠/١/٦) . وأرغمت الحرب القيادة الايرانية على تأكيد الطابع الاسلامى

(٥) مقتطفات من اقبال ١٩٨٥ ص ٨٥ .

للحــرب فصــــلا عن طابعها الوطنى ، لحث الجيش على اندفــاع عن الوطن الاسلامى .

وجدير بالذكر أنه منذ اندلاع الثــورة حتى بداية الحرب قامت أجهـزة الاعلام الايرانية بحملة دعائية قوية معادية للقومية ، غــير انها لم تكن تعبيرا عن نزاع بين القومية الاسلامية والقومية العربية ، ولكن يمكن شرحها من خلال الاعتبارات التالية :

(أ) كان الاتجاه الاصولى يرمى بهذه الحملة الى هدف قومى قبـــل كل شىء ، اى استبعاد التيارات ذات الاتجاه القومى والوطنى من خلال اضعاف قاعدتها الايديولوجية فى اطار صراع السلطة . وكان هذا الصراع موجها بصفة خاصة ضد نفوذ الجبهة الوطنية تحت زعامة (د . سنجابى) وتيار (بازارجان) أول رئيس وزراء بعد الثورة ، الذى استندت ايديولوجياته على الاسلام وعلى التراث الوطنى لمصدق (انظر بازارجان ١٩٨٠) .

(ب) ان تصريحات بنى صدر وقطب زادة الموجهة ضد القومية العربية، والتى قربت فيها القوميـــة العربية من الصهيونيـــة فيما يختص بالمجابهة السياسية لها علاقة بالعراق وبتخلف القومية الايرانيـــة ، والمطالب الايرانية بخصوص العراق والبحرين ، تلك المطالب التى عادت مرة اخرى تحت ستار ايديولوجى جديد(٦) .

ولا يوجد هناك تبرير اسلامى متزن لهذا الرفض المتعنت للقومية . فالامة الاسلامية تعتبر نفسها ـــ مثلما يتضح فى النص المذكور اعلاه ـــ كعصبة لشعوب مختلفة ، يعترف فيها بالانتماء لشعوب وعناصر مختلفة وبالكينونة القومية فى اطار هذا المجتمع الاسلامى .

والنزاعات الايديولوجية ، التى يصفها الجانبان دائما بأنها السبب الرئيسى للنزاع ، اى السبب السياسى لهذه الحرب ، ما هى الا وسيلة للغرض . فايران مهتمة باضعاف القاعدة الايديولوجية لنظام البعث ، أما العراق فمهتم بالحد من النفوذ الايرانى لمنع حدوث انقلاب اسلامى مفاجىء . فقد حاولت جماعات الشعب الاسلامية الشيعية فى العراق القيام باختبار للقوة مع الحكومة عن طريق القيام بمظاهرات فى شهر فبراير عام ١٩٧٧ . وقد شجع انتصار الثورة الاسلامية فى

---

(٦) تصريح مناهض للقــومية العــربية فى صــحيفة النهار الصـــادرة فى ٧٩/١٢/٢٣ ، ٧٩/١٢/٢٥ وانظــــر ايضـــا صـــحيفة الوطن الصـــادرة فى ١٥ ، ١٩٨٠/٣/٢٣ .

ايران هذه الحركة واصبحت تمثل خطرا جسيما للنظام العراقى (انظر ديتمجيان ١٩٨٥ ص ١٣١ — ١٣٦) .

٢ ـ ٥ ـ الدول العظمى والدول فى المنطقة :

الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب :

أصبح الشرق الأوسط يتمع بأهمية بالغة فى النظام السياسى الدولى وفى سياسة الدول العظمى . ولعل العامل الحاسم فى ذلك هو البترول بوصفه مادة حيوية بالنسبة للدول الصناعية والوضع الاستراتيجى للمنطقة . وقد تعرض الشرق الأوسط لضغط شديد فى الصراع بين الدول العظمى (الفورد ١٩٨٢ ص ١٤٥) .

هذا وتبلورت اشكال جديدة لوجود الدول العظمى بعد انهيار دول الاستعمار والوصاية . وأدى اعتماد النظام الاقتصادى المحلى على النظام الاقتصادى العالمى بعد الحصول على الاستقلال السياسى الى تبعيات جديدة ويشهد الوجود العسكرى (وحدات اساطيل ، قواعد عسكرية ، حق الاستفادة من الموانى .. الخ .) بأهمية المنطقة فى الاستراتيجية الكونية لكلتا الدولتين العظميين (انظر خوبين ١٩٨٠ ص ١٢٤ — ١٢٩) ، اللتين تريان ان النفوذ السياسى فى الخليج هو قبل كل شىء مفتاح التحكم السياسى فى أوربا . وهكذا يمكن الاعتراف بأهمية بترول الخليج فى استراتيجية الدول العظمى (ستافسول ١٩٨٢ ص ٩٧ ف) .

تساعد الصراعات المتعددة والمعقدة المتشابكة بين الدول الاقليمية والدول المجاورة دائما على تدخل الدول العظمى وزيادة نفوذها . ولعل النزاع الاسرائيلى العربى هو السبب الرئيسى فى وجود الدول العظمى وكذلك فى استقطاب الصراعات (انظر بنزل ١٩٨٥ ص ٧٧ — ٨٠) . وقد أدت الصراعات الدائرة بين كل من ايران والعراق/والعراق وسوريا/واليمن الشمالية واليمن الجنوبية/والجزائر والمغرب/والصومال واثيوبيا/وتشاد وليبيا/وليبيا والسودان/وليبيا ومصر الى تقوية وجود الدول العظمى الذى انعكس على الصراعات المختلفة ، حيث تميزت النزاعات الحديثة باستقطاب قليل الوضوح لأطراف النزاع وتعدد وتبدل مواقف أطراف الصراع من الدول العظمى .

وأدت هذه النزاعات وكذلك الارتفاع الهائل لعوائد البترول الى تدعيم الطاقة التسليحية مما أدى بالتالى الى عسكرة الصراعات والاعتماد المتزايد لكل طرف على احدى الدولتين العظميين فى المجال العسكرى . وحاول العراق بعد ابتعاده عن الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٥ البحث عن مصادر جديدة للتسليح للحد من هذا الاعتماد (اتجه العراق الى فرنسا) : وهناك دول

آخرى وضعت حدا لعلاقات التبعية للدول الأخرى ، حيث حصلت على أسلحتها بطريق غير مباشر عبر دول ثانية وثالثة دون موافقة رسمية من الدول العظمى المتحالفة معها . وقامت مصر بتوريد أسلحة للعــراق من الصين ، واستوردت ايــران اسلحة أمريكية من كوريا الجنوبية ، وباكستان وأيضا اسرائيل (تقرير سيريب رقم ١٢٥/١٢٦ ، ٤٠ ، انظر الجدول فى الملحق) .

تميزت السبعينيات بظاهرة سياسية جديدة — وهى الازدهار العسكرى والاقتصادى للمنطقة ، الذى كانت له آثاره أيضا على ميزان القــوى الاقليمى وكذلك على العلاقات مع الدول العظمى . وتعد مصر واسرائيل والســعودية وايران والعراق دولا طموحة اقتصــاديا وعسكريا ، بدأت تلعب دورا اقليميا وزادت لديها نزاعات السيطرة الاقليمية ، كان هذا الوضع سائدا فى عهد ناصر ويسعى مبارك خليفة السادات للقيام بهذا الدور مرة أخــرى . وكانت ايران تحلم فى عهد الشاه ان تكون « خامس دولة فى العالم » . ويبدو ان جمهورية ايــران الاسلاميــة حققت مطامعها فى السيطرة الاقليمية والسلطة . وحاول العراق على العكس من ذلك فى بداية الحرب ، ان يظهر كدولة اقليمية مسيطرة (انظر ايوبى/خيلى ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ — ١٥٤) . وتسعى ســوريا ، التى تعتمد على رأس المال السعودى والمعونات العسكرية السوفيتية الى استغلال الحرب للقيام بالدور الذى يصبو اليه العراق .

ادى نهوض الدول الاقليمية والقوى المحلية والتغييرات الجوهرية فى علاقة الدول العظمى بعضها مع بعض . الى تحول فى العلاقات بين المنطقة والدول العظمى . وباستثناء ما تسمى بجبهة الرفض والصمود (اليمن الجنوبى والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التى تتعاون فى الآونة الأخيرة مع ايران أيضا ، لم يعد يوجد محور مستقر ومتحالف مع احدى الدول العظمى . وحتى جبهة الرفض — التى تتخذ طابعا مناهضا لامريكا — تفكر فى الابتعاد نسبيا عن الاتحاد السوفيتى . ولا تتخذ علاقة الدول المشتركة مع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى صورة موحدة بل بالعكس صورة متباينة تماما (انظر رايت ١٩٨٣ ص ١٨٥ — ١٨٨) .

ان تسلل الدول العظمى متنوع ويتخطى الحدود والحواجز الايديولوجية والتقليدية : فالولايات المتحدة تقيم علاقات وطيدة مع الجزائر ، كما ان الاتحاد السوفيتى يورد مواد حربية الى الأردن ويرسل مستشاريه العسكريين الى الكويت . ومن المحتمل ان يتدعم وجود الاتحــاد الســوفيتى فى دول الخليج فى اعقاب حرب الخليج (يودفات ١٩٨٣ ص ١٣٤ — ١٣٦) .

ويتعارض الوضع الراهن مع اتجاهات الاستقطاب . ولم يعد فى امكان اى دولة عظمى اليوم ارغام حلفائها على تسوية نزاعاتها لصالح احــدى الحلفاء ، مثلما فعلت بريطانيا عام ١٩٣٧ و ١٩٥٤ . ولكن النزاع العــــربى

الاسرائيلى هو الوحيد الذى مازال موضع استقطاب الدول العظمى ، بالرغم من انها فقدت أهميتها هنا . فقد كان يكفى فى عام ١٩٥٦ صدور بيان امريكى سوفيتى لانهاء الحرب ، أما فى عام ١٩٧٣ فقد كان لزاما على وزير الخارجية الامريكى ارغام الاطراف المعنية على تقديم تنازلات فى مهمة مكوكية . ولقد اسفرت جهود القمة التى بذلت من أجل تسوية فى النزاع العربى الاسرائيلى عن اتفاقية كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر وتحت مظلة الولايات المتحدة ولكن النتائج قليلة وأدت فى النهاية الى طريق مسدود .

ويواجه الاتحاد السوفيتى مشكلة التوتر بين حليفيه العراق وسوريا ، وهما ليسا مستعدين لأى تعاون . كما أن السياسة الاقليمية التى تنتهجها كلتا الدولتين المواليتين للغرب والحليفيتين للولايات المتحدة مصر والسعودية متناقضة تماما .

وبالرغم من تدويل الصراعات الاقليمية والمحلية وتورط الدول العظمى فى هذه الصراعات ، نجد أنه لم يعد فى امكان الدول العظمى السيطرة عليها . وكانت النزاعات الاقليمية قبل اندلاع الحرب الايرانية العراقية تحدث تحت نفس الظروف المذكورة اعلاه . فالحرب نفسها تؤدى الى تخفيف الاستقطاب .

وفسرت الاتفاقية الايرانية العراقية لعام ١٩٧٥ بوجه عام على انها خطوة من العراق فى اتجاه الغرب . وبالرغم من ذلك رحب الاتحاد السوفيتى بهذه الاتفاقية مبدئيا (البرافدا فى ٧٥/٤/١٧) وكان العراق هو الحليف الوحيد للاتحاد السوفيتى فى الخليج وكان الاتحاد السوفيتى يمنى نفسه بالوصول من خلال الاتفاقية الى الخليج عبر العراق . وعلى الرغم من القمع الذى حدث للحزب الشيوعى العراقى الموالى للسوفييت فيما بين عامى ١٩٧٥ و ١٩٧٨ وتكثيف العراق لعلاقاته التجارية مع الدول الغربية ، وبخاصة مع فرنسا تلك العلاقات التى واجهت نقد عنيفا من الاتحاد السوفيتى والحزب الشيوعى العراقى — على الرغم من هذا نجد أن الاتحاد السوفيتى تمكن من تدعيم مركزه وبخاصة من خلال وجوده العسكرى (ورلد ماركيست ديفيو فى ١٩٧٦/٨/٨) . كما استؤنفت اعمال التوسيع فى ميناء « أم قصر » العراقى ، الذى كان مفتوحا ايضا أمام البحرية السوفيتية (يودفات ١٩٨٤ ص ٣٩ ، انظر هوبل ١٩٨٢ ص ٢٦) .

وصرح طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى لتبرير الوجود السوفيتى فى العراق ، الذى انتقده الكثيرون فى دول الخليج ، قائلا : « قالت بعض الدول الساحلية بأنه لا يجب أن تكون لدينا هنا بحرية امريكية أو سوفيتية ، ونحن ضد ذلك لأنها كانت وسيلة لابقاء النفوذ الامريكى وابعاد السوفيتى . ان الامريكيين موجودون من قبل .. من الذى يعرض أمن الخليج للخطر ؟ نحن لا نرى خطرا

حاليا ، والاكثر أهمية من ذلك هى حرية الملاحة فى الخليج » . (خوبين ١٩٨٠ ص ٢٣) .

وفى الفترة التى تقارب فيها العراق من السعودية أدلى الرئيس العراقى صدام حسين بتصريحه الشهير ، « سندافع عن السعودية فى حالة ما اذا أراد الاتحاد السوفيتى احتلالها » . (الصحافة العراقية ٧٩/٤/١٩) ، وذكر بعض المراقبين انذاك أن ١٦ الف خبير سوفيتى يتمركزون فى العراق(٧) .

ويجب النظر الى بيان الرئيس العراقى فى ضوء الانقلاب الموالى للسوفييت فى افغانستان ، الذى أثار الخوف لدى القيادة العراقية من حدوث تغييرات فى بلاده (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٠) . وبرغم الابتعاد الواضح عن الاتحاد السوفيتى واستبعاد الحزب الشيوعى ، نجد أنه ســاد هــدوء بين الاتحاد السوفيتى والعراق الذى اعتمد كما هو الحال من قبل على التأييد السوفيتى لتحقيق سياسته الاقليمية . وقام العراق فى عام ١٩٧٨ بمبادرة لعقد قمة عربية فى بغداد كرد فعل على اتفاقية كامب ديفيد ، ورحب الاتحــاد السوفيتى بذلك (نيويورك تايمز فى ١٩٧٨/١١/٢٥) . وكان لبغداد وموسكو أهداف سياسية مختلفة برغم ادانتهما المشتركة لاتفاقية كامب ديفيد :فالنظام العراقى الذى كان قد أوشك على التخلص — بحرص — من تحالفه مع الاتحاد السوفيتى ، لم ينضم لجبهة الرفض التى كان يؤيدها الاتحاد السوفيتى ، لانه كان يهتم قبل شىء بتكوين جبهة موحدة مضادة لمصر تشترك فيها السعودية والدول العربية الاخرى المحافظة كما كان مهتما بالقيام بدور معتدل ولكن ليس انطلاقا من علاقاته الوثيقة مــع غرب اوربا والسعودية . ولم تسفر محاولات الوساطة التى قام بها كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى فى جولاته الى دمشق وبغداد عن أية نتائج (فريدمان ١٩٨١ ص ٢٤ف) .

وخلق انتصار الثورة الايرانية وما ترتب عليه من تهديد للعراق ودول الخليج وضعا جديدا . مما دعا الرئيس العراقى صدام حسين أن يقترح على الدول المعنية ميثاقا للدفاع المشترك وعدم الاعتداء . وكانت أهم نقاطه : ضد وجود الدول العظمى ورفض منح القواعد العسكرية لقوات الدول العظمى ، واتخاذ الاجراءات المشتركة ضد أى هجوم ليس عربى . ومن الواضح ان التصريح كان موجها ضد ايران وانه عمل تمهيدى لشن حرب .

وثمة جانب اضافى جدير بالتنويه فى موضــوعنا يتعلق بالضعف الملفت للنظر الذى لحق بالمنظمات الاقليميــة التى قويت من خلال الحرب الايرانيــة العراقية . فالجامعة العربية ومنظمة الأوبك ومنظمة الدول الاسلامية كانت تشكل فى السبعينيات منظمات اقليمية وما فوق الاقليمية وتمثل مصالح دول العالم الثالث

---

(٧) انظر الأفرواسيوية رقم ٧٢ فى ١٩٧٩/١/٢٢ .

المشتركة وتمكنت الى حد ما من الحد من نفوذ الدول العظمى . وانطلاقا من ذلك تكونت قاعدة لحل المشكلات وتسوية النزاعات العربية الداخلية . غير ان الجامعة العربية اخذت تفقد أهميتها باستمرار : اذ ان مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه جامعة الدول العربية لم يتمكن من الانعقاد طوال أسابيع طويلة اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان . ولم يمكن تنفيذ الخطط التى وضعها مؤتمر وزراء الخارجية واقاء قمة الدول العربية لحل أزمة الشرق الاوسط ولانهاء النزاعات العربية الداخلية (انظر دافيشا ص ٦٥ — ٦٨ ، جانسين ١٩٨٤ ص ٨١ — ٨٧) .

كذلك فقدت منظمة الأوبك بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية والخلافات الايرانية السعودية فى سياسة البترول وظيفتها كهيئة متكاملة . ولكنها سهلت بعد عام ١٩٧٥ فى الجزائر ابرام اتفاقية ايرانية عراقية ، الا انها هى نفسها أصبحت موطنا للنزاعات والتوترات .

كما ضعفت منظمة الدول الاسلامية نتيجة للتوترات الداخلية فى الاتجاهات الانقسامية . وتجلى عدم أهميتها المتزايد فى فشل جهودها من اجل التوصل الى حل سلمى للحرب الايرانية العراقية .

السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية

لم يكن التطور الداخلى وآليات النظام الاسلامى ولا سياسة ايران الخارجية — امرا سهل الفهم بالنسبة للعالم بأسره فى الست السنوات الماضية وظلت خلافات النظام الجديد مع الدول العظمى والدول المجاورة والتى ادت فى فترة محددة الى عزلة ايران — أمرا محيرا بالنسبة لكثير من الدول . وكانت هناك محاولة لارجاع اسباب الخلافات غير المفهومة اما الى الفوضى التى اعقبت انتصار الثورة مباشرة او الى عجز الصفوة القيادية الدينيه على التعامل مع القواعد الحديثة للسياسة الدولية . وبالتأكيد كانت فترة الفوضى والصراعات داخل الأجنحة مسئولة عن السياسة غير المستقرة والمتغيرة . بيد أن السياسة الخارجية الايرانية تستند على مفهوم سياسى بنى على بعض المبادىء الاسلامية المحددة . ونحاول فى هذا الفصل تحليل هذه المبادىء وتقسيم السياسة الخارجية الايرانية الى مراحل هامة .

ربما تعتبر السياسة الخارجية الايرانية محيرة بالنسبة لاى مراقب نظرا لانها غالبا ما تمثل فى آن واحد آراء سياسية مختلفة لمراكز قوى مختلفه . وبدون تشخيص مراكز القوى هذه لا يمكن تحديد الملامح الاساسية للسياسة الخارجية الايرانية كما لن يكون من الممكن كشف متناقضاتها .

ونظرا لأن مصالح سياسة خارجية محددة قد ساعدت على اندلاع الحرب الايرانية العراقية ونظرا لان العلاقات الايرانية مع العالم الخارجى يغلب عليها طابع الحرب نجد استعراض ملامح السياسة الخارجية لايران امرا لا مناص منه فى عملنا هذا .

وكانت السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم نواة للدعاية الاسلامية وللتعبئة ضد حكم الشاه الذى كان اعتماده على الولايات المتحدة ودوره « كشرطى اقليمى » علاوة على علاقاته مع اسرائيل وجنوب افريقيا وشكل ذلك محور بيانات الخمينى ابتداءا من علم ١٩٦٣ حتى قيام الثورة فى عام ٧٩ (الخمينى ١٩٧٩ ، ٣٣ ، ٥٧ ثم ٧١ — ٧٥ ، ١١٥ — ١٢١ ، ٢٠٥ — ٢٢٠) . ولعبت السياسة الخارجية دورا هاما فى الخلافات الداخلية بعد نجاح الثورة ايضا ، كما كانت لها اهمية خاصة بالنسبة لازدهار وفشل الجماعات والاتجاهات السياسية .

وكان منصب وزير الخارجية موضوعا للصراع منذ بداية الثورة الايرانية وكثيرا ما تعرض للتغيير اكثر مما كان يتعرض له اى منصب وزارى آخر (فقد اعتلى هذا المنصب خمسة وزراء خارجية فى غضون السنتين الأوليين كما ظل شاغرا على مدى عام كامل) .

واعلن النظام فى بياناته الأولى عن سياسة خارجية مضادة تماما للشاه وكانت المبادىء الجديدة هى الاستقلال وعدم الانحياز النشط والسعى الجاد نحو تحقيق الوحدة الاسلامية (اطلاعات ٧٩٠٢٠١٤)(١) . وحدد منظرو الثورة الايرانية المبادىء الاساسية للسياسة الخارجية الجديدة بانها « توازن سلبى (صبحار ١٩٨٠ — ٢٨) ويستحق هذا المفهوم الجديد دراسة دقيقة وسنحاول عرض أسس السياسة الخارجية الجديدة وخطوطها العريضة من الوجهة النظرية للنظام الجديد .

أ — الاساس التاريخى :

تحولت ايران فى فترة حكم الكيراستشية (١٧٩٥ — ١٩٢٥) الى دولة ضعيفة متفسخة شبه مستعمرة (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٠ — ٢٢) . وقسمت كلتا الدولتين الاوروبيتين المتنافستين بريطانيا وروسيا / ايران الى مناطق نفوذ الامر الذى ادى الى عملية نهب منتظمة لهذا البلد (بنى صدر ١٩٧٧ ، ٥٩ — ٦٣) . وأصبح الاقتصاد الايرانى والدولة الايرانية فى حالة اعتماد

---

(١) أول بيان حكومى لرئيس الوزراء مهدى بازرجان الذى أعلنه فى ١٩٧٩/٢/١٣ وكذلك ايضا أول مشروع لوضع مفهوم ايرانى جديد (المقدمة) .

كامل على العالم الخارجى بسبب أعباء الديون المتنامية والتنازلات المستمرة التى كانت تقدمها ايران للدولتين العظميين . وتم تثبيت عملية تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ كتابة فى معاهدة بريطانية روسية صدرت عام ١٩٠٧ (يودفات ١٩٨٤ ، ٦ ــ ٨ ، هورفيتس ١٩٥٦ ثم ٢٢٦) . ولم تقسم الدولتان العظميان المصادر الاقتصادية والطبيعية فقط بل اخضعتا أيضا أعضاء الاسرة الحاكمة لتبعيتهما .

وقد عمل مركز القوة هذا ، الذى كان فى الواقع عاجزا ازاء مراكز القوى المحلية ــ على تأمين وجوده فيما بعد عن طريق مساندة الدولتين الاوروبيتين (بنى صدر ١٩٧٧ ثم ٥٦) ومحاولات الاستقلال المختلفة التى حدثت من جانب بعض رجال من الدولة الايرانيين مثل الامير كبير فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر . هذه المحاولات الاستقلالية تحطمت على صخرة التعاون بين الدولتين العظمتين وحليفهما الشاه الذى كان لا حول له ولا قوة (بنى صدر ١٩٨٠ ، ١٧٦ ، بروكلمان ، ١٩٧٧ ، ٦٦٤) . وكانت أسرة الكاجارن تسير على مبدأ « التوازن الايجابى » فى السياسة الخارجية أى قيام علاقة متوازنة مع الدولتين العظمتين مما كان يعنى فى نهاية المطاف تحقيقا لمصالح الدول الكبرى . وقد أدى هذا الوضع الى خلق مواقف كان على ايران الخضوع فيها بتقديم تنازلات لتلك الدولة والتسليم بمطالب الدولة العظمى الاخرى بالتالى (صبحار ١٩٨٠ ، ٢٧ ، بروكلمان ١٩٧٧ ، ثم ٦٨٠) . وقد فشلت فشلا ذريعا محاولتان قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية للتخلص من هذا الوضع الجديد وذلك عن طريق الاتجاه الى دولة عظمى ثالثة وهى المانيا (ايفانوف ١٩٧٨ ، ٦١ ــ ٦٤ ، ١١١ ــ ١١٤ ، الطبرى الاولى ١٩٧٧ ، ١٤٨) .

ويتحدد البديل الاسلامى لهذه السياسة ــ « مبدأ التوازن السلبى » فى العلاقات مع القوى العظمى المتنافسة ، برفض أية تبعية وأية تنازلات وهكذا تم تحييد الدول الكبرى وتأمين استقلال ايران . وقد وضع هذه النظرية فى العشرينيات علماء الدين المسلمون والسياسيون النشطون وهما حسن موداريس والدكتور مصدق (الذى كان رئيسا للوزراء فى الفترة ما بين ١٩٥١ حتى ١٩٥٣) وصاغها ايضا قبل وبعد الثورة الاسلامية المنظرون الاسلاميون المحدثون مثل بنى صدر (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٨ ــ ١٣٠) .

ب ــ الاساس الاسلامى :

اعتمد منظرو الحركة الاسلامية تجارب النبى محمد عند بداية نشر الاسلام . فقد واجهت الدولة الاسلامية المغيرة آنذاك دولتين كبيرتين وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية اللتان كانتا تتنافسا على السيطرة على العالم القديم . ولم يكن الاسلام مستعدا ولا راغبا فى تقديم

تنازلات أو الانحياز لاى من الامبراطوريتين وبذلك استطاع تحييدهما وأخيرا اخضاعهما . ولابد أن تكون هذه التجربة التاريخية قد ساعدت فى تشكيل سياسة ايران تجاه الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٦ ، بنى صدر ١٩٧٩ ، ٩٠) .

د ـ الاساس الاستراتيجى :

ولا تعتبر ايران دولة كبيرة فحسب بل تحظى أيضا بأهمية استراتيجية فهى مشتركة مع الاتحاد السوفيتى فى خط حدود يبلغ طوله ٢٥٠٠ كم علاوة على أن موقعها على الخليج وعلى المحيط الهندى جعلها تتعرض دائما فى العصر الحديث لضغط عنيف من الخارج . فكثيرا ما كانت الدول العظمى تتدخل فى الصراعات الداخلية ومساندة ثورات محلية وبذلك أجبرت الحكومة المركزية على الركوع ووصل الامر الى حد الغزو المباشر لايران . وفى الفترة ما بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٠ استخدمت بريطانيا ايران كمعبر لقواتها المساعدة للمقاومة المناهضة للسوفييت (نخراى ١٩٧٢ ، ٢٢) وكانت المعاهدة الايرانية السوفيتية نتيجة لهذه الواقعة وهى تلزم ايران بطرد اى قوات أجنبية من أراضيها كما تلزمها أيضا بتعقب الانشطة المناهضة للسوفييت . بل وأكثر من ذلك تسمح هذه المعاهدة للاتحاد السوفيتى بحق مرابطة بعض قواته فى ايران فى حالة وقوع اى استفزازات للاتحاد السوفيتى (يودفات ١٩٨٤ ، ١٣) . هذا وقد اضفت هذه المعاهدة شرعية علىالغزو السوفيتى الامريكى عام ١٩٤١ وذلك لاحباط الخطط الحربية للرايخ الثالث ضد الاتحاد السوفيتى (يودفات ١٩٨٤ ، ثم ١٧٦) وتنازل نظام الشاه فيما بعد على الاقل عن الحياد النظرى وانضم فى الخمسينيات الى الحلفاء الغربيين المناهضين للسوفييت .

ولم يكن أمام الجمهورية الاسلامية الا طريق واحد للتخلص من هذا المأزق التاريخى الذى كان سببا للتبعيات المتغيرة وهو استقلال ايران وعدم الانحياز الايجابى والفعال ، وبهذا الطريق أيضا يمكن ضمان بقاء الدولة بعيدة عن نفوذ القوى العظمى نسبيا . ويمكن تحقيق هذا الهدف اعتمادا على مبدأ « التوازن السلبى » .

٣ ـ ١ ـ اسس السياسة الخارجية :

تحدد الوثائق الدبلوماسية والبيانات الرسمية التى صدرت لدى قيام الجمهورية الاسلامية اسس السياسة الخارجية الايرانية على النحو التالى (٢).

---

(٢) دستور الجمهورية الاسلامية لايران الفقرة ١٥٢ ـ ١٥٥ ، بيان الحكومة الذى صدر فى ١٩٧٩/٢/١٣ ، خطاب رئيس الوزراء الايرانى أمام مجلس الامن فى ١٩٨٠/١٠/١٨ .

(أ) اقامة علاقات مع جميع الدول على اساس التعايش السلمى والاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ورفض أية معاهدات غير متساوية أو تتعارض مع سيادة استقلال الدولة .

(ب) رفض الاشتراك فى سياسة التحالفات وعدم الاشتراك فى اى حلف مع الدول العظمى .

(جـ) لا – للشرق ولا للغرب من اجل جمهورية اسلامية .

(د) الهدف الاساسى لسياسة ايران الخارجية هو تعاون وتوحيد جميع الشعوب الاسلامية والسعى لوحدة سياسية واقتصادية وثقافية فى العالم الاسلامى . يجب على الثورة الاسلامية مساعدة الدول الاخرى للتحرر والعالم للاتفاق .

(هـ) مساندة كفاح المستضعفين ضد الانظمة الديكتاتورية . وتتعدى اهتمامات الثورة الاسلامية بذلك الساحة الاسلامية وتقسم العالم الى مستضعفين ومستكبرين) كما تتضامن مع شعوب مستضعفة غير اسلامية (مثل الهنود والامريكيون السود .. الخ) (الدستور فقرة ١٥٤) .

(و) نشر مبادىء الثورة الاسلامية الحقيقية فى العالم باسره وحماية العقيدة الاسلامية من الانحراف أو التبديل (انظر الدستور – فقرة ٣) . تعلن الجمهورية الاسلامية تحدى اسلامها الثورى كعامل نضالى ضد الاسلام التقليدى متحدية بالتالى الأمراء التقليديين الحاكمين للدولة الاسلامية .

ولم يتضمن اول مشروع للدستور الاسلامى الايرانى اية فقرة محددة عن عدم الانحياز بل اضيفت هذه الفقرة فيما بعد فى تبديل الدستور . كما اضافت بعض العناصر الراديكالية الى مقدمة الدستور ان الهدف البعيد للثورة الاسلامية هو اقامة دولة عالمية موحدة (اى أمة) ، (الدستور المقدمة . صبحار ١٩٨٠ ، ٣٤) .

ان ثمة تناقضا قائما بالفعل فى الدستور وفى بعض الوثائق الاخرى التى تتعرض للمبادىء الخاصة بالسياسة الخارجية والتىكانت تكون فيها الخلافات التىظهرت فيما بعد . فلا يتفق مبدأ مساندة الشعوب المستضعفة ومبدأ نشر المبادىء الاسلامية الحقيقية مع المطالبة بالتعايش السلمى ، كما ان مساندة الحركات الاسلامية المعارضة تتناقض مع مبدأ التعاون مع الحكومات التى تعمل ضد مصالح الدول العظمى وقد ادت هذه التناقضات فى السياسة الخارجية الى خلق أزمات وخلافات دبلوماسية .

وقد ظهر هذا الاشكال – اى التناقض بين البرنامج الرسمى وبين السياسة الفعلية – فى دول اخرى ايضا حيث كان يتضح – بعد قيام ثورة

ناجحة — الاهتمام بنشر أفكار الثورة السياسة ولكن كان الاتصال المباشر بدول وبأنظمة أخرى كثيرا ما يؤدى الى تصحيح الموقف السياسى الخارجى . (وعلى سبيل المثال الوضع فى روسيا بعد قيام الثـورة البلشفية ، دجراس ١٩٥١ ، ٢٦) .

٢ — ٣ — التحول الاسلامى فى السياسة الخارجية :

تختلف السياسة الخارجية الايرانية للجمهورية الاسلامية تماما مع السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم وتتبنى آراء بديلة على جميع المستويات تقريبا . فعلى الرغم من احتفاظ ايران بعلاقات إقتصادية طيبة مع الاتحاد السـوفيتى والكتلة الشرقية منذ الستينيات (للتعاون فى صـناعة الصلب وتصدير الغاز الايرانى) (أنظر هويل ١٩٨٢ ، ثم ٢٠) استمرت سيطرة الولايات المتحـدة الامريكية على المجالات السياسية والاستراتيجية والأمنيـة السياسية . هذا وكانت العلاقات مع الدول العربية قد وصلت الى أدنى مستوى اثناء حكم الشاه (هليداى ١٩٧٥ ، ١١١) .

ودخلت السياسة الايرانية القديمة للشاه — خاصة بعد ازدهار القومية العربية فى عهد ناصر فى الستينيات — فى صراع مع السياسة القومية العربية وقد اقتصرت العلاقات الايرانية العربية على ممالك المغـرب والاردن وسلطنة عمان حيث كانت قوات الشاه تقومبالدفاع عن الحكم المحافظ ضـد عـدوه اليسارى الراديكالى كما اقتصرت تلك العلاقات أيضا على مصر قبل وبعد حكم ناصر . وعلى الرغم من المصالح المشتركة ضد انتيارات الراديكالية فى المنطقة نجد أن أطمـاع الهيمنة الايرانية دابت على خلق التوتر مع المملكة العـربية السعودية ودول الخليج . وفى محيط النزاع العربى الاسرائيلى اقام شاه علاقات مكثفة مع اسرائيل كما أدلى بصوته فى الأمم المتحـدة ضد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وضد ادانة هجومين اسرائيليين على جنوب لبنان .

وكانت النشاطات الايرانية داخل منظمة الدول الاسلامية تهـدف اساسا بالتعاون مع تركيا وباكستان ومع بعض الدول الاخرى — الى تكوين تحـالف مناهض للاتحـاد السوفيتى — وبررت ايران موقفها المناهض للشـيوعية بالسلام كما اقامت علاقات مكثفة مع جنوب افريقيا واثيوبيا فى عهد هيلاسيلاسى .

وغيرت عملية الاطاحة بنظام الشاه من موازين القوى الاقليمية التى تحولت الآن لصالح الاتحاد السوفيتى والقوى الاقليمية المناهضة للامريكيين وفقدت الولايات المتحدة الامريكية بضربة واحدة منطقة نفوذ هامة تمتد على طول ٢٥٠٠ كم من الحدود الايرانية السوفيتية كانت عليها محطات مراقبة ومحطات ردار . كما أدت الاطاحة بالشاه ايضا الى اهتزاز حلف السنتو (الذى كان حزب بغداد حتى قيام الثورة العراقية ، بونتسل ١٩٧٩ ، ٢) . ووضعت

الجمهوريه الاسلامية الجديدة مفهوما جديدا لعدم الانحياز والاستقلال عن الدول العظمى : فقد حاولت ان تعطى لفكرة عدم الانحياز مضمونا عالميا شاملا فى اطار اقتصادى واجتماعى وثقافى • اما بالنسبة لفكرة الاستقلال عن الدول العظمى فكانت هذه الجمهورية ترى انه الرفض الشديد وادانة اطماع الهيمنة للدولتين العظميين ، وبهذا الموقف الراديكالى تسير هذه الجمهورية فى خط للنموذج الصينى •

٣ ـ ٣ ـ تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة للسياسة الخارجية

أحدثت الثورة الايرانية تغييرا عاصفا وجلبت معها كما هائلا للظواهر المعقدة خاصة فيما يتعلق باقامة نظام حكم بديل • فقد استطاعت التيارات المختلفة عن خمينى ان تتوحد من أجل تحقيق هدف الاطاحة بالشاه وسرعان ما تبلورت فى السنتين الأوليين بعد الثورة وجهات النظر والاتجاهات المختلفة من جديد ونتيجة لذلك تطور الوضع الى نشوب صراعات داخلية حادة والى اضطراب فى السياسة الخارجية تطورت فى النهاية الى صراعات دامية على السلطة فى صيف ١٩٨٠ • ولم تنشب الصراعات الداخلية بين التيارات الاسلامية واليسارية والعلمانية والليبرالية الوطنية فحسب بل نشأت نتيجة للاختلافات الكامنة داخل الحركة الاسلامية ذاتها والتى كانت تمسك بزمام الامور ونحاول فى الجزء التالى تحديد معالم ثلاثة اتجاهات متنافسة فى اطار مركز القوة الحاكم وتصوراتها للسياسة الخارجية من الناحيتين النظرية والعملية •

(أ) اتجاه وطنى اسلامى

ونعنى بهذا الاتجاه اساسا « الحرية لايران » بزعامة مهدى بازرجان ويمثل بازرجان فى تاريخ ايران الحديث مزيجا من الفكر الاسلامى والمصالح الوطنية (٣) • وعين رئيسا للوزراء بعد الثورة فقد كانت الآمال معقودة عليه لجمع بين القوى والتيارات المختلفة تحاشيا للاستقطاب • واحتل حزبه بالاضافة الى منصب رئيس الوزراء مناصب هامة اخرى فى مجلس الوزراء (وزارات الدفاع والداخلية والثقافة) وكبح هذا الحزب ـ الى حد ـ ما جماح السياسة الراديكالية التى كانت تطالب بها بعض الدوائر المتطرفة والتى كانت على اقتناع بضرورة التطهير الشامل لجهاز الدولة القديم وكان بازرجان يؤكد أن مهمة الثورة هى البناء وليس الهدم • وينقسم مفهومه للسياسة الخارجية الى النقاط التالية :

وآية الله طلقانى والذى حكم فى الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧٩

---

(٣) مهدى بازرجان ، حديث فى : الدستور عدد ٤٥٤ لندن وديسمبر ١٩٧٩ •

ـ التوازن فى العلاقات مع كلتا الدولتين العظميين والتعايش السلمى مع الدول المجاورة البرجماتية أى الاتجاه العملى هو المبدأ الاسمى للسياسة الخارجية • ويعنى بذلك الرفض لأية محاولات ثورية متطرفة او مثالية : تكييف العمل السياسى مع المعطيات الفعلية • وبازرجان هو مؤلف كتاب « البرجماتية فى الاسلام » والذى يقارن فيه بين الاسلام وبين أفكار وليم جيمس والفلاسفة البرجماتيين المتطورين الآخرين كما يحدد فيه أوجه الشبه بين هذه الاسس (حديث صحفى مع بازرجان فى مجلة الدستور ١٩٧٩) .

ـ حدود الثورة الايرانية : عارض بازرجان فكرة « تصدير الثورة » ولكنه أيد فكرة اقامة نظام برجماتى اسلامى هادىء فى اطار الدولة الوطنية الايرانية •

ـ على أن تكون ايران مثالا يحتذى لبلدان اسلامية أخرى دون تصدير للثورة (٤) •

ـ التعايش السلمى ليس فقط مع الدول الاسلامية ودول العالم الثالث بل ايضا مع الدول الغربية . وعلى الرغم من انه كان يشارك التيارات الاصولية فى اهمية الربط بين الاستقلال الثقافى وبين حماية الوجهة الاسلامية نجد أنه كان يرى ضرورة التعاون مع الدول الصناعية الغربية المتقدمة على المستوى الاقتصادى وبصفة خاصة المستوى التكنولوجى (حديث صحفى مع بازرجان فى صحيفة الدستور ١٩٧٩) • حاول بازرجان فى الفترة ما بين فبراير ونوفمبر عام ١٩٧٩ ـ تحويل مبادئه الى الواقع العملى بيد أنه لم يحرز سوى نجاح جزئى لان الصراعات والاتجاهات المختلفة واختلاف وجهات النظر فى القرارات السياسية نسفت جهوده .

(ب) الاتجاه الاصولى

ويمثل هذا الاتجاه الحزب الجمهورى الاسلامى الذى تأسس بعد انتصار الثورة مباشرة ويعد محاولة لتجميع انصار الخمينى تحت قيادة دينية •وسرعان ما اوقع ادعاء الحزب ـ انه القوة السياسية الحاكمة والقائدة ـ فى صراع مع التيارات الاسلامية الاخرى التى كان يجسدها بازرجان أو مع المثقفين المستقلين مثل بنى صدر الذى لم يكن قد انضم الى الحزب وتميزت السنة الاولى بعد قيام الثورة بالصراع بين الحزب الجمهورى الاسلامى وبين حكومة بازرجان . وعلى الرغم من ان الحزب كان يتمتع بالاغلبية فى مجلس الثورة نجد انه لم يكن له اى عضو فى الحكومة • بيد ان الحزب تمكن بفضل أغلبيته فى المجلس الدستورى

---

(٤) بازرجان ، سلسلة مقالات « ثورتنا » فى صحيفة انقلاب اسلامى (وهى صحيفة الثورة الاسلامية) عدد ١٢ ـ ١٧ ، نوفمبر ١٩٨٠

الذى تشكل حديثا من ادخال تعديلات واسعة على مشروع الدستور الذى وضعته وقدمته الحكومة ولعل أهم تدخل هو الجزء الخاص بالفقرات الخاصة عن ولاية الفقيه » الذى كان يضمن للصفوة الدينية وضعا قياديا فى الدولة . وتتمثل اراء التيارات الاصولية فى السياسة الخارجية على النحو التالى :

ــ الثورة الاسلامية هى ثورة عالمية ولا تتوقف عند أية حدود قومية ويمكن التضحية بمصالح ايران القومية فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

ــ ان قصر الثورة على الحدود القومية للدولة يعتبر موتا للثورة وانتشارها هو الضمان الوحيد لانتصارها فى ايران .

ــ يمكن تقوية التيار الاسلامى داخل الدولة ــ عن طريق الكفاح المتواصل ضد العالم الخارجى ــ الامر الذى يحول دون قيام بيروقراطية داخل الدولة وبذلك يصبح ما يسمى بالفوضى الثورية شيئا نظريا .

ــ الثورة الاسلامية ليست غربية ولا شرقية وعدوها الرئيسى هو الولايات المتحدة الامريكية ومسألة الرهائن تثبت ذلك ويكمن ضعف هذا الراى فى عدم وجود أى اختلاف بين الولايات المتحدة الامريكية واوربا وليس هناك صحة لاستقلال أوروبا وصراعها مع قوى الهيمنة الامريكية .

ــ أصبحت عزلة ايران مؤكدة من الناحية النظرية ، فالعزلة تعتبر نتيجة حتمية للبناء المستقل لايران الجديدة . ونظرا لان التكنولوجيا الحديثة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الغربية وبالحضارة ، فلا يمكن لايران أن تأخذ أحداهما دون الاخرى .

ــ تبرير فكرة « تصدير الثورة » ادى فيما بعد الى خلق ازمات دبلوماسية شديدة وصراعات مع الدول المجاورة خاصة دول الخليج .

(جـ) اتجاه بنى صدر :

على الرغم من ان وضع بنى صدر كان قريبا من اتجاه بازرجان الاسلامى الوطنى الا أنه اتخذ لنفسه بعد انتخابه رئيسا للوزراء اتجاها خاصا به وكانت استقالة وزارة بازرجان فى نوفمبر ۱۹۷۹ ومشكلة الرهائن تعنى انتصارا للتيار الاسلامى الاصولى بما له من اثر على الحياة السياسية فى داخل البلاد وعلى السياسة الخارجية أيضا . فبعد انتصاره القوى فى انتخابات الرئاسة والتى حصل منها على ثمانية فى المائة من الاصوات حاول اخماد التيارات المتطرفة كما بذل جهودا جبارة لاعادة صياغة سياسة اسلامية هادئة تتفق مع اتجاهات بازرجان رئيس الوزراء السابق . ويمكن استعراض مواقف بنى صدر بالنسبة للسياسة الخارجية على النحو التالى :

ــ **التوازن السلبي** : كمنظر مرموق للثورة الاسلامية صاغ بنى صدر مفهوم السياسة الخارجية على هذا النحو : لا يمكن ضمان استقلال ايران عن طريق العزلة ولا عن طريق التورط فى صراعات متعددة أو عن طريق « التوازن الايجابي » . فالدول الكبرى مرغمة نظرا لتكوينها على التنافس من أجل النفوذ والهيمنة فى كل منطقة فى العالم . ويمكن عن طريق اقامة علاقة متوازنة مع كلتا الدولتين العظمتين ومقاومة اطماع الهيمنة وتخفيف الضغط على ايران وارغام الدول الكبرى على قبول ايران المستقلة كحد أدنى لتحقيق مطالبها الخاصة (بنى صدر ١٩٧٩ ، ٤ ــ ٥ ، ٩٠) وقد عبر بنى صدر عن هذا الموقف مرات عديدة خلال بياناته وأحاديثه الصحفية التى أدلى بها وأجراها اثناء الفترة القصيرة التى أمضاها فى منصب وزير الخارجية فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٩ . وأيد بنى صدر فى ندائه للشعب الامريكى حل مشكلة الرهائن وحاول التأكيد على أن ايران المستقلة تتفق فعليا مع مصالح الشعب الامريكى أما التصعيد المستمر فسيؤدى الى التدخل السوفيتى فى ايران (بنى صدر ــ رسالته فى ١٩٧٩/١١/٤) .

ــ يفرق بنى صدر فى النظام الدولى الجديد بين مستويات الصراع المختلفة ففى محاربته للدول الكبرى يدعو الى أوروبا محايدة والتعاون معها .

ــ تدعيم دور المنظمات الدولية والاقليمية وخاصة تلك التى تدعو للتعاون مع دول العالم الثالث مثل منظمة الاوبك أو منظمة الدول الاسلامية .

ــ يدعو بنى صدر كأساس داخلى لمثل هذه السياسة ــ على العكس من فكرة « الفوضوية » الثورية ــ الى الاستقرار والوحدة الوطنية والتطور السلمى للعملية الثورية (بنى صدر ١٩٧٩ ، ١٤٣) .

ــ رفض مفهوم « تصدير الثورة » وتجنب أى شكل من اشكال العنف فى العلاقات الثنائية .

اثرت الخلافات بين التيارات السياسية الثلاثة السابق ذكرها تأثيرا حاسما على السياسة الخارجية لايران حتى شهر يونيو عام ١٩٨١ . وأدى عزل بنى صدر واستيلاء الاصوليين على السلطة وبعد صراع استمر سنتان ونصف سنة الى تنفيذ أهداف الاصوليين ومبادئهم فى السياسة الخارجية . بيد أن اتجاهات جديدة داخل النظام بالاضافة الى متطلبات الحرب اجبرت الاصوليين منذ عام ١٩٨٣ على التراجع الجزئى على الأقل عن شعاراتهم الثورية والى الاخذ النسبى لبعض العناصر البرجماتية فى مواقفهم السياسية الخارجية .

١٠٤٠٣ تقلبات فى السياسة الخارجية الايرانية

نقسم فيما يلى السياسة الخارجية الايرانية الى أربع فترات تغير فيها شكل ومضمون السياسة الخارجية مع موازين القوى وأصحاب القرارات .

١٠٤٠٣ فبراير — نوفمبر ١٩٧٩

العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية والغرب

كانت سياسة بازرجان الخارجية مضادة لكلتا الدولتين العظمتين الا انها كانت تتميز بالخوف من التدخل السوفيتى . ولذلك عملت حكومة بازرجان ليس على قطع بل على اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية على أساس جديد . فمن ناحية قطعت العلاقات مع اسرائيل وجنوب افريقيا وخرجت من حلف السنتو (بيان حكومى) اطلاعات فى ١٩٧٩/٣/١٩ ومن ناحية أخرى جرت المساعى لاقامة علاقات طيبة مع أوروبا الغربية واليابان كما أعادت المعاهدات الاقتصادية والعسكرية التى أبرمت فى عهد الشاه وحرصت على ملاءمتها مع الظروف الجديدة . فقد كان أى خرق للمعاهدة يعنى كارثة بالنسبة للاقتصاد الايرانى وبالنسبة للصناعة الانتاجية الايرانية حيث أن نسبة اعتماد قطاع التسليح على هذه المعاهدات كانت كبيرة ، وقد ارغم انهاء المعاهدة من طرف ايران على استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفيتى كما حدث لمصر بعد ثورة ١٩٥٢ وللعراق عام ١٩٥٨ . ويرى الخبراء عن حق أن امدادات الاسلحة السوفيتية كانت الخطوة الاولى فى طريق النفوذ السياسى فى الشرق الاوسط فى الخمسينات . وكانت حكومة بازرجان تعارض هذا النوع من التحول الراديكالى وفى هذا الاطار يلزم الرجوع الى المقابلة غير الموفقة بين بازرجان وبرزنيسكى التى تمت فى الجزائر فى اكتوبر عام ١٩٧٩ والتى عجلت باستقالة حكومته (الشرق الاوسط فى ١٩٨٩/١١/١٨) .

العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية

تقع علاقة ايران مع الاتحاد السوفيتي في دائرة المساعي الدائمة للحصول على مناطق النفوذ وغزو افغانستان . وظل الاتحاد السوفيتي الذي رحب بالاطاحة بنظام الشاه وضياع القلعة الامريكية في ايران ينظر بعين الشك الى الوجهة الاسلامية للثورة (يودفات ١٩٨٤ ، ٥٤ ، ٥٧) وتجلى ذلك في تواتر الحديث الرسمية فلم تتحدث الصحافة السوفيتية عن الجمهورية الاسلامية بل عن الجمهورية الايرانية ولم تكتب الثورة مقرونة بالاسلامية بل الديمقراطية الوطنية (تشوبن ١٩٨٠ ، ٣٨) . بينما اختارت الصحافة الايرانية لفظ روسيا لتهاجم بذلك دمج الجمهوريات الاسلامية الآسيوية في الاتحاد السوفيتي التي كانت من الوجهة التاريخية أجزاء من الاراضي الفارسية واحتلتها روسيا القيصرية على مدى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد حاول الاتحاد السوفيتي مرتين على الاقل في تاريخ ايران الحديث فرض نفوذه على السلطة المركزية عن طريق مساعدة مطالب الاستقلال الذاتي للجماعات المحلية والعرقية . فقد ساند الاتحاد السوفيتي جمهورية المستشارين في اقليم جيلان عام ١٩٢٠ كما ساند جمهوريتي اذربيجان وكردستان في السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ (ايجليتون ١٩٦٣ ، ١٢٣ — ١٢٥) واصابة مساندة الصحافة السوفيتية لمطالب الاستقلال الذاتي الكردية والتركمانية بعد قيام الثورة الاسلامية نقطة حساسة في علاقات كلا البلدين . وقد تجنب الاتحاد السوفيتي اي تورط مادي في الخلافات ولكنه اكد مرات عديدة على اهمية الاستقلال الذاتي للاكراد . يودفات ١٩٨٤ ، ٦٣ ، ٨٦ ، ١٤٥ ، تاس ١٩٧٩/٩/٤) .

وكانت الازمة الافغانية منذ البداية مصدراً للتوترات ، فبينما كانت ترى ايران في الغزو تهديداً مباشراً اتهم الاتحاد السوفيتي ايران بالتدخل في الشئون الافغانية وارسال متطوعين . وادت الخلافات حول ارتفاع سعر البترول بجانب الخلافات السياسية الاخرى الى تسمم المناخ بين الدولتين (بيان حكومي ايراني ، اطلاعات ١٩٧٩/٩/٢٠) .

ولا يصح تجاهل الابعاد الايديولوجية لهذا الصراع . ويعتبر كثير من المراقبين ان من المتوقع أن يكون للثورة الاسلامية أثر على الوضع في الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي (شوبن ١٩٨٠ ، ٣٨ ، دنكاوري ١٩٨١ ، ٢٢٥ — ٢٣٢ يودفات ١٩٨٤ ، ٨٤ — ٧٦) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات مع دول الغرب لم يطرأ — على عكس جميع التوقعات — اي تحسن في العلاقات مع دول الكتلة الشرقية وكانت البادرة الوحيدة التي تهدف الى تحقيق التقارب هي وعد الحكومة الايرانية بتوجيه الدعوة لفيدل كاسترو رئيس الحزب والدولة الكوبي لزيارة ايران بيد أن هذه الزيارة لم تتم .

العلاقات مع العالم الثالث والمنظمات الدولية

وعلى الرغم من المشكلات الداخلية المتعددة كانت علاقات ايران مع دول العالم الثالث ومع المنظمات الدولية فى هذه الفترة مكثفة بشكل اكبر من الفترة التالية . وكانت العلاقات مع الدول الاسلامية تحتل المرتبـــة الأولى واشترك بازرجان على الرغم من النقد العنيف من جانب التيارات المتطرفة — فى مؤتمر منظمة الدول الاسلامية التى كانت التيـــارات الاسلامية تحط من قدرها كمنظمة رجعية . ثم اصبحت ايران عضوا فى دول عدم الانحياز وارسلت وزير خارجيتها الى مؤتمر دول عدم الانحياز فى هافانا ثم قطعت العلاقات مع جنـــوب افريقيا واعترفت الجمهورية الجديدة بحكومة الساندينستا فى نيكاراجوا . ولم يطرأ اى تغيير جوهرى على العلاقات مع الصين على الرغم من خطهما المتوازى المحدد فيما يتعلق بالدول الكبرى وعلى الرغم من التشـــابه فى التطور الداخـــلى ، ظلت هذه العلاقات تخيم على شـــبح الزيارة الرســـمية التى قام بهـــا لايران هاوكاو فنج رئيس الدولة الصينى الذى كان آخر رئيس دولة صينى قام بزيارة رسمية للشـــاه . اما العلاقات الايرانيـــة مع الدول العربية وخاصة مع دول الخليج والعراق ستعالج بشكل منفصل فيما بعد .

٢-٤-٣ نوفمبر ١٩٧٩ — اغسطس ١٩٨٠

تولى مجلس الثورة مقاليد السلطة التنفيذية بعد اقالة حكومة بازرجـــان فى نوفمبر ١٩٧٩ وكلف بعض اعضائه بادارة الوزارات . وكان آية الله بهشتى رئيس مجلس الثورة وبنى صدر الذى كلف بمهام وزارات الخارجية والماليـــة والاقتصاد لاعادة تنظيمها ووضع خلاف .

وكان العامل المسيطر فى بداية هذه الفترة هو الحزب الجمهورى الاسلامى بالاضافة الى مجموعة الطلبة المتطرفين المتحالفة معه والتى احتلت السفارة الامريكية وكانت السمات الرئيسية الخارجية لهذه الفترة هى العزلة والميل الى التطرف الذى تمكن بنى صدر من اضعافه عن طريق التيار الذى كان يمثله . ولم يسىء احتجاز الرهائن الى العلاقات مع الخارج فحسب بل لعب دورا هاما فى القضاء على جذور الاتجاهات الليبرالية والوطنية والمعتدلة فى الصراع الداخلى على السلطة وسيطر المفهوم الاصولى فى السياسة الخارجية على الرغم من مقاومة بنى صدر وآخرين . ويمكن عرض ملامحه الاساسية كما يلى :

(أ) الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الغربية

كان احتجاز الرهائن تعبيرا عن سياسة معادية للامريكيين وضد التحالف الغربي تسببت اخيرا في عزلة البلاد وفي فرض العقوبات السياسية والاقتصادية من جانب الدول الغربية . الا أن الأمر كان يتعلق أساسا بالصراعات الداخلية على السلطة فقد استخدمت النشاطات السياســـية الخارجية لتعبئة جماهير الشعب من ناحية وللقضاء على العناصر الليبرالية والوطنية داخل مركز السلطة من ناحية أخرى .

واصيبت التوقعات الايرانية بخيبة أمل فيما يتعلق بنتائج احتجاز الرهائن على العلاقات الدولية . وقد اراد آية الله خميني اجبار الدول الاسلامية على التحالف ضد امريكا بهدف الحيلولة دون قيام انتفاضـــات خطيرة في هذه الدول (النهار ٢٨/١١/١٩٧٩ ، ١٨/١٢/١٩٧٩) بيد ان احتجاز الرهائن قد تسببت في مزيد من العزلة وفقدت ايران السمعة الطيبة الذى كانت تتمتع بها بعد الثورة بين الرأى العام العالمي . فقد اتضح موقف بريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا أن الدول الاوربية واليابان قد ابتعدت حقا في البداية عن موقف الولايات المتحدة الامريكية المناهضة لايران بيد أنها تأرجحت تحت ضغط الولايات المتحدة وتحت وطأة الاحداث ، على هذا الخط .

(ب) الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية

دأب الاتحاد السوفيتي على توجيه النقد الحاد الى السياسة الخارجية في عهد رئاسة بازرجان للوزارة أى في الفترة من فبراير حتى نوفمبر عام ١٩٧٩ ورأى أن الفرصة سانحة أمامه في الوضع الجـــديد لاستغلال الصراع الامريكى الايرانى والحصول على منطقة نفوذ في ايران (يودفات ١٩٨٠ ، ١٢٦ — ١٢٨ ، ١٩٨٠ ، ٤٠) وعلى الرغم من التدخل الاحادى الموجه ضد الولايات المتحـــدة الامريكية أصبحت ايران تخشى تدخل السوفييت وادانت المذكرة الموجهـــة من مجلس الثورة الايرانى الى قيادة الحزب السوفييتى جميع المحاولات السوفييتية الراميـــة للحصول على مناطق النفـــوذ واكد وزير الخارجية الايرانى من جديد في خطابه لنظيره الســـوفيتى اندريه جروميكو الموقف الايرانى وادان بشـــدة غزو أفغانستان ، فقد كان تورط النظام الايرانى الجديد في النضال مع الولايات المتحدة الامريكية يشكل من وجهة النظر الايرانية فرصة لنجاح غزو افغانستان ولذلك وقعت في ايران في يناير عام ١٩٨٠ مظاهرات معادية للسوفييت وعلاوة على ذلك اعلنت ايران مقاطعتها للدورة الاوليمية التى اقيمت في موسكو (كيهان ٢٢/١/١٩٨٠) .

وعلى الرغم من ذلك اســـــتخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو في مجلس الامن الدولى وحال بذلك دون ادانة ايران واستغل الاتحاد السوفيتى المقاطعة

الاقتصادية من جانب الدول الغربية فى تكثيف العلاقات التجارية مع ايران (النهار ١٥/١/١٩٨٠). وفى ربيع عام ١٩٨٠ تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية السوفيتية والقى على عاتق ايران مهمة تدعيم العلاقات التجارية مع دول الكتلة الشرقية .

(جـ) العالم الثالث والمنظمات الدولية

لم تتمكن ايران من تحقيق خطتها لاقامة حلف مناهض للامريكيين فقد اعترفت فجأة بجمهورية الصحراء لكى تضمن مساندة الجزائر وليبيا وانتهجت ايران سياسة انعزالية داخل المنظمات الاقليمية وغير الاقليمية ولم تشترك فى جلسات مجلس الامن ولا جلسات محكمة العدل بلاهاى عند مناقشة مشكلة الرهائن وابتعدت ايضا عن منظمة الدول الاسلامية وبادر بنى صدر رئيس الوزراء المنتخب حديثا والذى كان يرى جيدا ضعف ايران فى سياستها الخارجية بسبب مشكلة الرهائن السفير ١٧/٣/١٩٨٠ بادر بنى صدر باقتراح اشراك بلاده فى مباحثات منظمة الدول الاسلامية فى باكستان ولكن هذه الخطوة اصطدمت بالرفض الشديد من جانب الحزب الجمهورى الاسلامى ومن جانب الاتجاهات الاصولية (الجمهورية الاسلامية فى ٤/٥/١٩٨٠) .

وساد النصف الثانى من هذه الفترة ابتداء من مارس حتى شهر اغسطس ١٩٨٠ صراعات داخلية بين الرئيس بنى صدر والسيطرة الاصولية فى البرلمان . وبدأ بنى صدر بالاشتراك مع وزير خارجيته قطب زادة فى توطيد العلاقات مع اوربا . واشترك قطب زادة كمراقب فى مؤتمر الدولية الاشتراكية وطالب المجتمعين بسياسة اوربية فعالة ومستقلة . واستقبل بنى صدر وفدا للدولية الاشتراكية برئاسة المستشار النمساوى آنذاك كرايسكى وكانت جهود بنى صدر السياسية موجهة بوعى ضد أى اتجاه موال للاتحاد السوفييتى فى ايران ، اما العلاقات مع كوريا الشمالية فكانت مرتبطة بفكرة التقارب مع الصين .

وتميزت الحقبة ما بين نوفمبر عام ١٩٧٩ حتى اغسطس ١٩٨٠ بانشطة صغيرة فى السياسة الخارجية فقد ساد التوجه الاصولى المتطرف حتى عام ١٩٨٠ من يناير حتى مارس علم ١٩٨٠ حاول الرئيس الجديد ايقاف هذا الاتجاه . وساند الخمينى وبطانته ــ الذين صدموا بالانتصار الساحق لبنى صدر والذين كانوا غير راضين عن سياسته الخارجية ــ الحزب الاصولى الاسلامى ، بشكل مكثف ، وقد تمكن الحزب الأصولى أخيرا من الحصول على الاغلبية فى الانتخابات البرلمانية فى المجلس الوطنى التى جرت فى ٥ مارس ١٩٨٠ . وابتداء من مارس توالت الخلافات داخل البرلمان مما ادى الى ازمة دستورية حادة . وطبقا

للدستور الايرانى يرأس الرئيس السلطة التنفيذية وينسق بين السلطة التنفيذية والتشريعية ولابد من حصول الحكومة على رضا وموافقة الرئيس والبرلمان ولم ينص الدستور على شىء فى حالة حدوث خلاف بين الرئيس والبرلمان (الدستور الايرانى الفقرة رقم ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧) وفى اثناء الازمة الوزارية التى دامت خمسة اشهر لم يتم التوصل الى اتفاق حول تشكيل مجلس الوزراء .

٣٠٤٠٣ الفترة من اغسطس ١٩٨٠ حتى يونيو ١٩٨١

وكان يتحتم على بنى صدر بعد تدخل الخمينى قبول رجائى الذى اقترحه البرلمان رئيسا للوزراء . وفى أغسطس تم تشكيل الحكومة الجديدة وباشرت السلطة . اما وزارات الخارجية والاقتصاد والدفاع فبقيت شاغرة كما ظلت وزارة الخارجية بدون وزير دائم وعين وزير جديد للدفاع فى شهر أكتوبر فقط بعد اندلاع الحرب الايرانية العراقية .

وكان تشكيل الوزارة فى اغسطس ١٩٨٠ يعنى انتصارا للاتجاه الاصولى الذى بدأ فى تنفيذ آرائه فى السياسة الخارجية لايران باستثناء بعض مواقف بنى صدر الذى كان يركز على اعادة بناء الجيش والذى كان قد فقد نفــوذه بشكل ملموس واصبح رئيسا معارضا بصفة دائمة .

وتعمقت فى عهد رجائى عزلة ايران واصبح لها الان اسس نظرية وادينت المقاطعة الاقتصادية الغربية بصورة رسمية الا انها كانه فى نفس الوقت فرصة ملائمة للبناء الجبرى للطاقات والمصادر الاقتصادية الخاصة . واتخذت هذه النظرية مقياسا لمدى الاخلاص للاسلام — اى الولاء لتوجيه الامام — حيث اتخذ هذا المعيار أساسا للحكم على القيادات العليا العلمية والتكنوقراطية . وقد نتج عن ذلك تفضيل لبعض القــوى وموجة جديدة للتطهير وجهت ضد جميع التيارات المتأثرة بالعقائد الوطنية والليبرالية التى لها طابع غربى اودت هذه الموجه الى اغلاق الجامعة كما الغيت المنح الخارجية ولم تؤد حملة التطهير الى اضعاف الاقتصـــاد فحسب بل اضعفت أيضا المؤسسات والهيئات الهامة فى السياسة الخارجية .

(أ) الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الغربية

ونظرا لان مشكلة الرهائن كانت تشكل الملامح الرئيســية للسياســة الخارجيــة والداخلية استمر الصراع مع أمريكا « الشيطان الاكبر » وجمدت الولايات المتحدة الامريكية الحسابات الايرانية فى البنوك الامريكية ورفضت الالتزام بالمعاهدات القديمة . تحت ضغط الحرب الايرانية والموقف العصبية

داخل البلاد وبعد وساطة الجزائر الناجحة اطلق سراح الرهائن فرفعت الولايات المتحدة الامريكية الحظر المفروض على بعض الحسابات وحصلت ايران على الاسلحة وقطع الغيار أساسا من الدول الحليفة للولايات المتحدة الامريكية . وعلى الرغم من انفراج العلاقات مع غرب اوروبا بعد انتهاء مشكلة — الرهائن — نجد أنه لم يطرأ أى تحسن نوعى على العلاقات حيث وصلت علاقات رجائى مع بريطانيا الى مستوى منخفض تماما فى الوقت الذى تم فيه تطبيع العلاقات مع اليابان التى أصبحت فيما بعد أهم مشتر للبترول فى ايران .

(ب) الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية

كانت العلاقات الايرانية السوفييتية سيئة للغاية قبيل تشكيل حكومه رجائى خاصة بسبب ردود الفعل الشديدة اللهجة على غزو افغانستان . وقد أشاد الجانب السوفييتى بتعيين رجائى باعتباره تعبيرا عن اتجاه معاد للامريكيين وعلق بيان سوفييتى على الصراع الداخلى على السلطة فى ايران على النحو التالى :

« كان بنى صدر وتلك الجماعات التى تسانده موالين للولايات المتحدة الامريكية والغرب وأوروبا . وفى الوقت ذاته كان الاصوليون المسلمون يتخذون مواقف وطنية » (يودفات ١٩٨٣ ، ١٢٦) .

وكانت كلمه مواقف وطنية تعنى بوضوح مواقف معادية للامريكيين بشكل واضح وموالية للسوفييت . وبعد اندلاع الحرب ايد أحد الاتجاهات داخل الحزب الجمهورى الاسلامى فكرة استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفيتى وقد أعلن جلال فارس زعيم الحزب ومرشح الرئاسة ذلك بقوله : « نحن لا نواجه العراق وحده بل أيضا الولايات المتحدة الامريكية . فالاسطول الامريكى فى الخليج ولا يمكن مقاومته بدون الاسلحة السوفييتية . وقد اثبتت تجارب فيتنام وكوريا ومصر فى عهد ناصر انه من المستحيل الدخول فى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية بدون أسلحة سوفييتية » (الجمهوريه الاسلامية فى ١٩٨٠/١١/٢٩) .

ولم يحدث مثل هذا التعاون العسكرى ولكن تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية مع الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية بشكل كبير فى عهد رجائى كما أمكن التوصل الى تسوية لتكاليف تصدير الغاز الايرانى .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

أرسلت الدبلوماسية الايرانية فى فبراير ١٩٨١ وفودا الى بلدان مختلفه من دول العالم الثالث وذلك لتوضيح الموقف الايرانى فى الصراع مع العراق . بيد أن عزلة ايران وتبديد الطاقات والازمات التى نجمت عن الحرب قد حالت

دون اجراء اتصالات سياسية مكثفة مع دول العالم الثالث . وكان أهم حـــدث حضور رئيس الوزراء الايرانى الجمعية العامة للامم المتحدة ويعتبر خطابه الذى القاه فيها تسجيلا وثقيا لسياسة ايران الخارجية فى تلك الحقبة . وكانت ايران فى عهد راجاى تمثل الجناح المتطرف داخل الدول الاســلامية وقــاطعت اجتماعات منظمة الدول الاسلامية التى عقد فى الرياض فى يناير عام ١٩٨١ .

ودفعت الحرب مع العراق ايران الى عزلة قوية كما أضعفت نشاطها الدبلوماسية وباستثناء اللقاء مع رئيس الوزراء الباكستانى على هامش اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة لم تجر أية اتصالات سياسية أخرى . أما الوفود الحكومية التى قامت بزيارات لدول العالم الثالث فى فبراير ومارس من عـــام ١٩٨١ فقد تم ارسالها من قبل قسم الاعلام فى المجلس الاعلى للدفاع كما انها لم تجتمع الا مع ممثلين غير رسميين لدول أخرى .

٣٠٤٠٤ الفترة بعـــد يونيو عـــام ١٩٨١

لم يكن عزل بنى صدر وقوى أخرى معارضة بارزة يعنى سيطرة الاتجاه الراديكالى الكاملة فحسب . بل أيضا السيطرة الكاملة لمفــاهيمه السياسية الخارجية واستمرت سياسة رجائى . وحدد رئيس الوزراء الجديد ملامح هذه السياسة فى خطابه الذى القاه أمام الامم المتحدة فى نيويورك فى ٥ أكتـــوبر عام ١٩٨١ .

وكانت الحرب الايرانية العراقية ومتطلباتها تحدد دائما توجهات السياســة الخارجية لايران . ولم يطرأ أى تغيير على بيانات وأسس السياسة الخارجية فى جوهرها منذ عام ١٩٨١ بيد أنها قد تقلبت مع الوقت بعض وجهات النظر البرجماتية . وتوثقت العلاقات الاقتصادية مع غرب أوروبا واليابان كما حدث تقـــارب ملموس مع الصين ولم يطـرأ أى تغيـير على المواقف الاســـاسية فى السياسة الخارجيـــة التى كانت تتميز برفض أيديولوجى للدول الكبرى والغرب تميزت أيضا بالاشتراك الايجابى فى المنظمات الاقليمية والدوليـــة . وتأثرت العلاقات مع غالبية الدول المجاورة والدول العربية بشدة وبالتعارض المذهبى بين « الشيعة والسنة » .

٥٠٣ العلاقات مع الدول العربية وخاصة دول الخليج

كانت البيـــانات الرسمية للجمهــــورية الاســـلامية فى البداية توحى فى محصلتها بسياسة عربية نشطة بيد أن ايران قد دخلت على النقيض من ذلك فى صراع مع أغلب الدول العربية وحالت العقبات التالية دون حدوث أى تطور ايجابى فى هذه العلاقات :

— كانت الشخصية العقدية الدينية للجمهورية الايرانية بالمذهب الشيعى تشكل تهديداً على كثير من الدول العربية المحافظة والمتحالفة مع الغرب نظرا لانها كانت تخشى نشاط الاقلية الشيعية .

— مبدأ « تصدير الثورة » .

— الحرب العراقية الايرانية .

— أدى النفوذ الامريكى فى بعض الدول العربية مثل مصر والمملكة العربية السعودية وعمان الى حدوث توتر بين ايران وهذه الدول فى بعض الظروف خاصة مثل فى مشكلة الرهائن .

— الخلافات داخل المنظمات الاقليمية وسياسة الاسعار المتفاوتة داخل منظمة الاوبك والخلافات السياسية الايديولوجية داخل منظمة الدول الاسلامية الى زيادة حدة الخلافات والتوتر بين ايران وهذه الدول .

— التحالفات العربية المتنوعة والمتنازعة مع بعضها ، فعند اجراء اتصالات مكثفة مع احدى المحاور كانت العلاقات تتعكر تلقائيا مع الدول الاخرى .

(أ) شكلان للسياسة العربية

انعكست المفاهيم المختلفة للسياسة الخارجية الايرانية على العلاقات الايرانية العربية ايضا . ويمكن أن نفرق بين اتجاهين رئيسيين : سياسة حكومة بازرجان التى واصلها الى حد ما كل من بنى صدر وقطب زادة وكانت تسعى الى حدوث تحسن عام للعلاقات مع العالم العربى على الرغم من نوعية الانظمة الحاكمة هناك وقد رفضت هذه السياسة فكرة تقسيم الدول العربية الى دول محافظة واخرى تقدمية وذلك تجنبا لسوء العلاقات مع جانب العالم العربى . وقد طرأ فى عهد بازرجان تحسن نوعى على العلاقات مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج (الانوار فى ١٩٧٩/٩/١ ، النهار ١٩٧٩/٩/٢٠) .

اما الاتجاه الثانى وهو الاتجاه الاصولى : فقد ادى شعار تصدير الثورة الى حتمية حدوث مواجهة مع الدول العربية المحافظة وخاصة المملكة العربية السعودية وتدنت العلاقات مع أعضاء ما يسمى بجبهة الرفض (الجزائر وسوريا واليمن الجنوبى وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التى كانت تصنف الدول العربية الى دول محافظة وأخرى تقدمية .

ونحاول تقديم تحليل مفصل لعلاقات ايران مع اهم الدول العربية وخاصة دول الخليج فقد لعبت هذه العلاقات دورا هاما فى التاريخ المبكر للحرب العراقية الايرانية كما أنها تفسر الى حد ما اندلاع الحرب وتطور العلاقات العربية الايرانية اثناء الحرب وحتى الآن .

(ب) العلاقات مع جبهة الرفض والمعارضة العربية

قامت ايران باجراء اتصالات مكثفة نسبيا مع الجبهة المعادية لامريكا وهى ما يسمى بجبهة الرفض وهى نظام غير موحد ولكنه متميز بالخلافات السياسيه والايديولوجية فنظام الحكم فى اليمن الجنوبى ماركسى وعلمانى. وعلى الرغم من الادعاء الاسلامى الذى تدعيه القيادة الليبية والذى يبدو للوهلة الاولى أنه متقارب ومتواز مع ايران نجد أن هناك خلافات قائمة بين الاتجاه الايرانى وبين أعضاء جبهة الرفض فقد رفضت المؤسسة الشيعية فى ايران والمؤسسات السنية فى الدول الاخرى التفسير الليبى للاسلام وخاصة الحديث، ووصفته بأنه هرطقة .

اما سوريا فيحكمها حزب البعث العلمانى والذى يشن حملة دموية ضد الاخوان المسلمين (باناتوا ١٩٨١ — ٣٣١ — ٣٤٤) أما الصفوة الحاكمة فهى تحسب نفسها من طائفة العلويين وهى طائفة قديمة منشقة من المذهب الشيعى ولا تعترف المؤسسة الشيعية التقليدية بها كمسلمين .

كان الدافع للتقارب بين ايران وهذه الدول سياسيا لان هذه الدول قدمت نفسها كأطراف اقليمية حليفة كما تصور نفسها بأنها تشكل جبهة معادية لامريكا وتنهج استراتيجية اقليمية مشتركة بل واكبر من ذلك هى فى صراع دائم مع العراق وبعض الدول المحافظة الاخرى . وثمة سبب آخر للتقارب على الرغم من الاختلافات العميقة وهو البعد الجغرافى لهذه الدول بالنسبة لايران بالاضافة الى تكوينها المذهبى الداخلى حيث لا يشكل شعار « تصدير الثورة » تهديدا لها .

مع عهد حكومة بازرجان كانت العلاقات مع جبهة الرفض خاصة مع سوريا وليبيا علاقات محدودة وركزت هذه الحكومة على الجزائر والدول المعتدلة داخل جبهة الرفض والتى كانت تقوم بدور الوساطة فى العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والدول العربية المحافظة . ولكن قد تكثفت العلاقات مع كل من سوريا وليبيا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ ولم يكن ذلك ناتجا عن سيطرة الاتجاه الاصولى بل نتيجة العزلة المتزايدة .

كانت العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية على درجة أكبر من التعقيد والاختلاف فقدأقام آية الله خومينى فى منتصف الستينيات علاقات طيبة مع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تجرى بعض التدريبات العسكرية ايضا. وفى حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ أعلن الخمينى أن المعركة الفلسطينية تعتبر « جهادا » وطالب المسلمين بالمشاركة والاكثر من ذلك استغل نفوذه على الشيعة فى لبنان لاقناعهم بأهمية مساعدة النضال الفلسطينى واصدر فتوى بتخصيص جزء من الزكاة للفلسطينيين .

وبعد انتصار الثورة قطعت ايران علاقاتها مع اسرائيل ووضعت مبنى السفارة الامريكية تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية • وفى فبراير عام ١٩٧٩ وجه عرفات تهديدا من عبدان على الساحل الشرقى للخليج الى الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها وانه يرابط بالفعل على الجانب الاخر من الخليج • بيد أن توقعات كل من ايران ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتحقق وفشلت أسلحة منظمة التحرير الفلسطينية وان كانت قيادتها تعتبر من وجهة النظر الايرانية برجماتية وانتهازية • وتعارضت علاقات منظمة التحرير الفلسطينية بالملكة العربية السعودية وببعض الدول العربية الاخرى مع التصورات الايرانية كما تعارضت بنفس القدر مع سعى قيادة المنظمة الحصول على اعتراف امريكا بها •

(جـ) العلاقات مع دول الخليج

كانت علاقات ايران مع دول الخليج تتميز منذ قيام الثورة بخوف هذه الدول من السيطرة الايرانية ومن انتشار روح الثورة • وكانت التيارات الاصولية المتطرفة تعتبر انتشار الثورة في دول الخليج مسألة وقت وأدى تصميم ايران على استمرار السيادة على الجزر الخليجية الثلاث المحتلة (السياسة فى ١٩٧٩/٣/١١) وكذلك تصريحات آية الله روحانى المطالبة بالبحرين الى خلق موقف متوتر (اطلاعات فى ١٩٧٩/٦/١٥) واستنابات حكومة بازرجان التى كانت تميل الى تخفيف حدة التوتر وتعمل على تطبيع العلاقات المتبادلة وزير الخارجية الكويتى فى طهران كما قام وزير الثقافة الايرانى بزيارة المملكة العربية السعودية فى بداية شهر سبتمبر عام ١٩٧٩ وكان من المفروض قيام الامير فهد بزيارة لطهران ردا على زيارة الوزير الايرانى (الانوار ١٩٧٩/٩/١٠) حديث مع بازرجان ديسمبر ١٩٧٩ • وقام طباطبائى نائب رئيس الوزراء الايرانى بعد وساطة خدام وزير الخارجية السورى بزيارة البحرين ودول خليجية اخرى فى اكتوبر عام ١٩٧٩ (النهار فى ١٩٧٩/١٠/٧ ، اطلاعات فى ١٩٧٩/١٠/١٥) • وكانت الانشطة الدبلوماسية موجهة ضد الاتجاه الآحادى للسياسة الخارجية الايرانية وخاصة توقيع اى تحالف مع الاتحاد السوفيتى الا انها انتهت نهاية سريعة باستقالة بازرجان وتدهورت العلاقات مع دول الخليج والمملكة العربية السعودية ووصلت الى الحضيض بعد انتشار الاتجاه الاصولى وما ترتب على مشكلة الرهائن •

هذا وقد زاد تدهور العلاقات بسبب القرارات التى اصدرتها الجامعة العربية اثناء مشكلة الرهائن تحت تأثير الدول العربية المحافظة وكانت تنص على رفض مساندة ايران • كما ظلت العلاقات مع مصر محدودة وسلبية • وعلى الرغم من اخراج مصر من الحظيرة العربية بسبب معاهدة السلام مع اسرائيل نجد ان

مصر ظلت تتمتع بمكانة خاصة فى الدبلوماسيه الايرانيه بصفتها اقوى دولة عربية • الا ان عرض مصر منح الشاه المخلوع حق اللجوء ووضع منشآتها العسكرية تحت تصرف الطائرات الامريكية أثناء عملية اطلاق سراح الرهائن الفاشلة خلق مناخا سيئا للغاية (متحدث باسم الحكومة الايرانية فى ١٩٧٩/٣/١٥ ، بيان مكتب الخمينى ١٩٧٩/٥/٣٠) •

وكان لبنان يحظى ببعض الاهمية حيث تنعكس فيه الكثير من الصراعات الاقليمية والدولية بشكل مصغر وحيث يأوى طائفة شيعية قوية نسبية • وفضلا عن وجود الطائفة الشيعية كان هناك أيضا عاملان لهما اثرهما على العلاقات الايرانية اللبنانية وهما وجود منظمة التحرير الفلسطينية ومقرها ، ثم نفوذ حليفتها سوريا •

وقد ادت محاولة ارسال مئات المتطوعين الايرانيين الى لبنان عبر سوريا للاشتراك فى الكفاح ضد اسرائيل وحلفائها الى خلق ازمة دبلوماسية متعددة الجوانب (اطلاعات فى ١٩٧٩/٩/٢٩) • وبعد عام ١٩٨٢ اتخذ الوجود الايرانى فى لبنان ابعادا اقليمية اكبر •

ـ ٤ اندلاع الحرب ومسارها

لا تتفق الوثائق الرسمية لكلا الجانبين فى عرض اسباب الحرب وشرعية المواقف المختلفة ولا تتفق فى البداية الفعلية للحرب • فالجانب العراقى يسجل بداية الحرب (٢٢ سبتمبر ١٩٨٠) فى تاريخ آخر : فقد بدأت ايران العدوان العسكرى بالفعل فى ٤ سبتمبر (فيرتسلى فى ١٩٨١ ، ٣٥) (١) • ويؤيد هذه النظرية قيام وحدات من الجيش العراقى بتحرير جزء من الاراض العراقية التى كانت ايران قد ضمتها اليها بالفعل قبل اكثر من عشر سنوات •

وتزيد الاتهامات المتبادلة ـ بالاضافة الى الكم الهائل من بيانات الاحتجاج التى نشرها الطرفان ـ من صعوبة توضيح المسار الفعلى للخلافات فى الشهور الاخيرة التى سبقت الحرب • وكانت وزارة الخارجية الايرانية قد ارسلت ثلاثا وخمسين مذكرة احتجاج الى العراق فى الفترة ما بين ابريل عام ١٩٧٩ وسبتمبر عام ١٩٨٠ ، احتجت فيها على ٦٣٧ عمليات استفزازية عراقية (الحرب ضد الثورة فى ١٩٨١ ، ١١١) وفى الوقت ذاته تلقت ايران ١١٠ مذكرات احتجاج من الجانب العراقى يحمل العراق ايران فيها مسئولية القيام بعمليات مماثلة

---

(١) انظر خطاب وزير الخارجية العراقى امام الأمم المتحدة فى ١٩٨١/١١/٣ •

ار نفس العمليات (حرب ضد الثورة ١٩٨١ ، ١١٤) ٠ ولكن غالبية مذكرات الاحتجاج كانت متميزة وغير موضوعية وهجومية بدرجة لا يمكن اعتبارها وثائق جدية (٢) ٠ وكانت الصحف ووسائل الاعلام الموالية لايران والموالية للعراق تستخدم لتبرير موقف كل من النظامين ولذلك اختفت وراء هذه الهجمات المتبادلة الخلفيات الحقيقية للحرب وبدايتها الفعلية (زمزمى ١٩٨٥ ، فارن فرتسلى ١٩٨١) ٠ واكتسبت الخلفيات التاريخية والصراع من اجل السيطرة الاقليمية الذى جرى عرضه فى الاجزاء السابقة من الكتاب شكلا جديدا بعد نجاح الثورة الاسلامية فى ايرن ٠ فقد دعمها الخلاف العقدى كما ادت هذه الخلفيات وفى ظل ظروف اقليمية ودولية معقدة جدا الى اندلاع الحرب ٠ ويجب البحث عن الاسباب الفعلية لنشوب الحرب فى ازدهار الابعاد الايدلوجية والسياسية (اى الاقليمية) ولذلك تعتبر الاتهامات المتبادلة حول المصادمات والاستعراضات المفصلة الخاصة بالعمليات العسكرية القتالية ذات اهمية ثانوية ٠

وفى الوقت الذى كانت تحتفل فيه الثورة الاسلامية بزعامة الخمينى بمرور عام على انتصارها فى ١٩٧٩ قدم الرئيس العراقى صدام حسين للرأى العام فى ٨ فبراير عام ١٩٨٠ مبادرته لاقامة ـ حلف قومى عربى موحد ـ ولم يكن التعاون السياسى والعسكرى الذى اقترحه صدام حسين فى هذه المبادرة وتضامن البلدان العربية ضد اى دولة (غير عربية) مقصودا به اسرائيل او غيرها بل القوة الاسلامية الناهضة حديثا فى ايران ٠

وقد رضخ العراق اثناء المظاهرات فى ايران قبل انتصار الثورة الاسلامية لضغط الشاه بطرد آية الله خمينى الذى كان يقيم منفيا فى مدينة النجف الشيعية المقدسة وقد كانت انشطة الخمينى فى العراق لمساندة الثورة الاسلامية تتعارض مع المعاهدة التى وقعها كل من صدام والشاه فى عام ١٩٧٥ ٠ ولكن طرد الخمينى لم يكن له نتائج سياسية تذكر على العلاقات بين الدولتين الا آن هذا الحدث قد ترك آثارا عميقة لدى الخمينى وأثر على موقفه الشخصى من النظام العراقى ٠

وقعت بالفعل مصادمات فى الاسابيع الاولى من قيام الجمهورية الاسلامية وكانت البداية الفعلية لنشوب الحرب هو الشعار الايرانى « تصدير الثورة » وخوف العراق ومن ورائه دول الخليج بوصفهم المقصود الاول بذلك . وفى ضوء ذلك يجب أن نوضح العوامل التالية :

(أ) أصبح العراق بعد الثورة مباشرة ملجأ لاعضاء الجيش الايرانى وأجهزة المخابرات الايرانية وتحول ذلك الى مركز رئيسى لحركة معارضة جديدة

---

(٢) انظر على سبيل المثال : وزارة خارجية ايران ، نظرة على الحرب المفروضة طهران ١٩٨٣ ، وايضا : وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، حول الصراع العراقى الايرانى ٠

مناهضة للاسلام وايران . وكانت بعض العناصر القيادية فى الجيش مثل اللواء « فوزى » ينظمون انشطتهم من العراق . كما استقبل العراق « بختيار » آخر رئيس وزراء فى عهد الشاه استقبالا رسميا (النهار فى ١٩٨٠/٣/١٩ ، السفير فى ١٩٨٠/٦/٣٠) . وعلى الرغم من تعبير العراق عن ارتياحه لانهيار نظام الشاه العدو التاريخى نجد ان ازدهار الزورة وما ترتب عليهـا من خطـر على النظام العراقى دفع العراق للتعاون مع المتعاطفين مع الشاه .

(ب) كان أقليم خوزستان (الأهواز) فى عهد الشاه منطقة غير آمنـة ومضطهدة تأمل فى الحصول على اصلاحات وعلى الحكم الذاتى وتحظى باصلاح من النظام الجديد .

وكان هذا الاقليم موضوعا دائما فى تاريخ النزاعات بين البلدين وقـد تصاعدت المقاومة فى هذه المنطقة وفى كردستان وفى بعض أقاليم الحدود الاخرى بسبب الموقف السلبى للثورة الاسلامية تجاه مشكلة الجنسيات (التى كان لها جذور اسلامية اصولية وعقدية) وايضا بسبب الشك فى الاستجابة لمطالب الحكم الذاتى . وساند العراق المنظمات العربية المطالبة بالحكم الذاتى فى هذه المناطق (لوموند فى ١٩٨١/١/٣) ولم يتحول هذا الخلاف الى مظاهـرات ومصـادمات وانشطة سياسية فقط بل أيضا لى عمليات ارهابيـة وعسكرية وحملت ايران العناصر المتحالفة مع العراق مسئولية تفجير أنابيب البترول ، وعلى هذا الاساس قامت الجماهير الايرانية المتظاهرة فى خورمشهر بالهجوم على القنصلية العراقية (الطليعة فى ١٩٧٩/١١/١٤ ، الجمهورية (بغداد) فى ١٩٧٩/١١/١٥) .

واكد العراق على الوجهة والطبيعة العربية لهذه المنطقـة واعترض على تبعيتها لايران ونشر الكتب والخرائط العراقية الى هذه المنطقة على أنها منطقة عربية تحتلها ايران وفيما بعد نشرت ايران هذه الكتب والخرائط كقرينة على نوايا العراق لتقسيم ايران وكوثائق توضيحية لخطط الضـم العراقية (الحـرب المفروضة فى ١٩٨٣) وكان التأييد العراقى لحركة الحكم الذاتى فى هـذا الاقليم وفى المناطق الايرانية الكردية الموضوع الرئيسى لمذكرات الاحتجاج الايرانية قبل اندلاع الحرب .

(جـ) تأثرت المعارضة الشيعية فى العراق باحداث ايران على الرغم من انها اتخذت خطا مستقلا عن ايران . وبعد الحرب مباشرة كثف العراق اجراءات التحكم والقمع ضد الطائفة الشيعية ففى بداية يونيو عام ١٩٧٩ فرضت الاقامة الجبرية على العالم الدينى محمد باقر الصدر بسبب تبادل البرقيات مع الخمينى ورفض العراق بيان احتجاج نشره الخمينى شخصيا باعتباره تدخـلا ايرانيا فى الشئون العراقية (النهار فى ١٩٧٩/٦/١٥ ، الأنوار فى ١٩٧٩/٦/١٦) .

واصبحت المعارضة الشيعية فى العراق موضوعا للنزاع بجانب التدهور العام فى الموقف بين العراق وايران واعدام الزعيم الشيعى الصدر وشقيقته قبيل اندلاع الحرب وهى خطوة لم يسبق لها مثيل حتى الآن (بتاتو فى ١٩٨١ ، ٨) . وكان الجانب العراقى يعتبر المقاومة الشيعية اليد الطويلة وتدخلا فى الشئون العراقية . وفى الاول من ابريل عام ١٩٨٠ حاول احد النشطين الشيعيين اغتيال عزيز نائب رئيس الوزراء وحمل ايران مسئولية هذه المؤامرة وهدد بالانتقـــام (الجمهورية فى ٨/٢/١٩٨٠ ، زمزمى ١٩٨٥ ، ٤٩ ، لوموند فى ٣/٤/١٩٨١) .

(د) يجب التنويه بخطة العراق لطرد المدنيين العراقيين من اصل ايرانى وتمتد جذور هذه المشكلة الى تاريخ الصراع بين الامبراطورية العثمانية والفارسية على مدى قرن من الزمن . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان من الممكن لسكان العراق الحالى الاختيار ما بين الجنسية العثمانية أو الفارسية . ولكن العراق الحالى بوصفه حليفا للامبراطورية العثمانية لم يعترف الا بالجنسية العثمانيـــة كشرط للحصول على الجنســـية العراقيـــة ، ومنح الحاصلين على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلى عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلى عن الجنسية الفارسية القـــديمة والحصول على جنسية عراقية جديدة (الراوى فى ١٩٨٠ ، ٤٢ — ٤٥) ومع ذلك كان فى امكان الذين احتفظوا بالجنسية الفارسية الحياة فى العراق . ولا يمكن تصنيف جزء كبير من هؤلاء الاشخاص فى عداد « الايرانيين » لأن معظمهم عرب عاشوا على الأراضى العراقية منذ أجيال كثيرة وكان كثير من اجدادهم قد حصل على الجنسية الفارسية لاسباب سياسية او مذهبية وغالبا حتى يتمكنوا من الهروب من الخدمة العسكرية .

ونتيجة للتوتر السياسى بين العراق وايران فى عام ١٩٧١ بدأ العراق مؤخرا فى طرد المواطنين من اصل ايرانى . ولكن توقفت هذه السياسة بعد توقيع المعاهدة الايرانية العراقية فى ١٩٧٥ بيد انها استؤنفت مرة اخرى قبل اندلاع الحرب الحالية . وبهذه الطريقة وقبل اندلاع الحرب قام ما يقرب من مائة الف مواطن ايرانى بعبور الحدود الى ايران وهم مجردين من املاكهم وعلى الرغم من ان النظام العراقى كان يكافىء طلاق الزيجات من أصل ايرانى نجد أنه قد تمخض عن ذلك الكثير من المآسى العائلية .

(د) وكانت عمليات الترحيل الاجبارية تعتبر عبئا اضافيا على ايران التى تحتم عليها ان تحارب فى ظل ازمات اقتصادية طاحنة والتى كانت تعانى من معدل عال من البطالة . وحدثت ردود فعل عنيفة فى ايران يمكن ادراجها ضمن الاسباب التى ادت اخيرا الى نشوب الحرب . وكان الهدف السـياسى

للعراق هو التخلص من عدو داخلى اى التخلص من « الطابور الخامس » ولم يتمكن غالبية النازحين من الاندماج فى ايران واصبحوا يشـــكلون قاعدة لمعارضة اسلامية عراقية تساندهاايران • ومنذ عام ١٩٨٢ اصبح حق عودة هذه الجماهير الى العراق يشكل شرطا ايرانيا لعقد اتفاق سلام مع العراق .

(هـ) وقعت ايران فى عزلة بسبب مشكلة الرهائن ووصلت حدة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية الى اقصاها وادى من جهة اخرى الى نقص فى المعدات الحربية وقطع الغيار • وتصاعد ـ قبل نشوب الحرب ـ الصراع الداخلى على السـلطة فى ايـران . وكان العـراق يعـد نفسـه بعـد الثـورة الاسلامية لمواجهة عسكرية واخذ يهدد بالحرب منذ ابريل عام ١٩٨٠ حيث كان العراق يرى أن الوضع الداخلى فى ايران بصفة خاصة ، وانهيار الجيش ، والصراع الداخلى على السلطة بالاضافة الى الموقف الخارجى خاصة التـوتر مع الولايات المتحدة الامريكية ، والعزلة الدولية كان العراق يرى أن هذه الامور كلها تنذر بالحرب .

(و) وصل التوتر بين ايـران ودول الخليج الى درجة عاليـة ورفض العراق تصورات تأمين المنطقة فى اطار جهود الوساطة التى بذلتها سـوريا للتقريب بين هاتين الدولتين • كما احتج العراق بشدة على هذه التصـورات واكد انه يحارب دفاعا عن مصالح دول الخليج ضد الخطر الايرانى . وكانت مطالبة العراق باستعادة الجزر الخليجية التى تحتلها ايران والتى تتبع دولة الامارات تتفق مع هذه الرؤية حيث اضفى العراق ابعاد اقليمية على حـربه وعلى مطالبه السياسية وأراد بذلك جر دول الخليج الى الاشتراك فى الصراع . وكان التنافس العراقى الايرانى القديم على الهيمنة على الخليج وراء هذا الهدف السياسى الذى كان لا يمكن تحقيقه الا بعزلة ايران بدخولها فى صراع مع الدول العربيـة الاخـرى .

(ز) دخلت معاهدة الجزائر الى طريق مسدود وأصبح البند الثالث منها ـــ الذى ينص على عدم تدخل اى من الدولتين فى شئون الدولة الأخرى وإقامة تعاون آمن ـــ اصبح غير قابل للتنفيذ فى ظل الظروف الجديدة بعد قيام الثـورة فى ايران ونظرا لان المعاهدة ـــ كما هو منصوص فيها ـــ لا تصبح سارية المفعول الا بتنفيذ كافة بنودها نجد أنها قد فقدت فعاليتها فى ظل الشروط الجديدة (الفقرتان الثالثة والرابعة من المعاهدة موجودتان فى الملحق . انظر الراوى ١٩٨٠ ، ٩٦) اما بالنسبة للعراق فكان تعديل المعاهدة فى صالحه .

وفى سبتمبر عام ١٩٨٠ أعلن العراق من جانبه عدم سريان معاهدة الجزائر وبذلك انهار الأساس الذى يقوم عليه السلام وبرر العراق اتخاذه هذه الخطوة بحجة ان ايران قد خرقت فى الواقع هذه المعاهدة (الراوى ١٩٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٠)

وبدات الاعمال العسكرية فى ٤ سبتمبر ويعتبر الغزو الكبير الذى قام به الجيش العراقى فى ٢٢ سبتمبر بداية للحرب .

ربط العراق الانتصار السريع بقائمة من الأهداف السياسية بدءا من الاطاحة بالنظام الايرانى وتقسيم ايران بسبب مشكلة القوميات حتى ابرام معاهدة بالشروط العراقية . بيد ان هذه الانتصار السريع لم يتحقق وبدلا من ذلك قامت ايران بغزو مضاد . ونحاول تقسيم مسار الحرب فى الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٤ بكل ما فيها من احداث عسكرية وسياسية الى ثلاث فترات رئيسية .

— الغزو وحرب المواقع الثابتة : سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١
— التقهقر والغزو المضاد : مارس ١٩٨١ — مارس ١٩٨٤
— حرب استنزاف وحرب المواقع الثابتة : مارس ١٩٨٤

الغـــزو وحـــرب المواقـــع الثابتة

(سبتمبر ١٩٨٠ — مـــارس ١٩٨١)

(أ) الغـــزو

سيطرت وحدات الجيش العراقى فى الفترة ما بين ٤ ، ٢٢ سبتمبر على ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر من الارض الايرانية فى منطقة سيف التى تعتبر من وجهة النظر العراقية جزءا من العراق . واستمر تبادل النيران بشكل منتظم بين الجنود المرابطين على طول الحدود فى هذه الفترة (زمزمى ١٩٨٥ ، ٣٩ — ٤١ ، بيرتســـلى ١٨٩١ ، ١١٧) .

وفى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ تصفت طائرات مقاتلة عراقية عشر قواعد عسكرية ومطارات ايرانية فى آن واحد تقليد الهجمات الاسرائيلية على السلاح الجوى فى مصر فى بداية ١٩٦٧ . بيد ان الهجوم كان محدودا نسبيا نظرا لتفوق السلاح الجوى الايرانى على السلاح الجوى العراقى كما وكيفا وتدريبا لطياريه . وكان يمكن ان يؤثر نجـــاح هذه العملية تأثيرا حاسما على مسار الحرب .

ومن ٢٣ حتى ٢٤ سبتمبر قام السلاح الجوى فى كلا البلدين بقصف مكثف للمنشآت الاقتصادية وخاصة حقول البترول التى كانت نقاطا رئيسية للهجوم . وفى ٢٣ سبتمبر بدأت أكبر عملية برية فقد عبر ما يزيد عن ٢٠٠٫٠٠٠ جندى عراقى ، من رابع خطوط الجبهة ، الحدود ، لاحتلال اقليم خوزستان بشكل رئيسى الذى تقطنه اغلبية عربية . وكان الهدف الاول احتلال مدن هذا الاقليم خورمشهر وديسفول وعبـــدان واحواس) حيث تقـــع أهم حقـــول البترول (هيرو ١٩٨٤ ، ٥) .

ولم تبد القوات المسلحة الايرانية أية مقاومة منتظمة نظرا لانها لم تكن على استعداد لمواجهة مثل هذا الحدث . وكانت الروح المعنوية والقوة الضاربة فى الحضيض بسبب عمليات التصفية والتطهير بعد الثورة . لم يكن عدد الجنود المستعدين للقتال سوى ١١٠٫٠٠٠ من بين ٣٢٠٫٠٠٠ جندى وكان جزء منهم متورطا بالفعل فى الحرب الأهلية المتصاعدة من قبل فى كردستان وكان الجزء الاكبر من وحدات الجيش الفنية مرابطا على الحدود السوفيتية ومن الناحية التقليدية كان الثقل الرئيسى لوحدات الجيش الايرانى فى الشمال وليس الجنوب . وقد عمل الغزو السوفييتى لافغانستان والتوتر بين ايران والاتحاد السوفييتى على تثبيت هذه الاستراتيجية وكانت عمليات التطهير فى الجيش وصلت ذروتها قبل الحرب انكشاف خطط انقلابية ...... وطبقا لبعض المصادر اتخذ رجال الدين الحاكمون من هذه الخطط ذريعة أن الجيش ليس موضع الثقة . وقامت وحدات من الجيش

تحركت تلقائيـــا ، بالتصدى للغـــزو العراقى كما تصدى له الحرس الثـــورى والحرس المحليون .

واثر عاملان على مصير الغزو العراقى . أولا : لم يشعر السكان العرب فى هذه المنطقة بأى تعاطف مع الغزاة بل تصدوا لهم . وعلى الرغم من تذمر السكان على الحكم الايرانى لم تصدر أية بيانات تعاطف مع العراق على اساس الخراب الذى نجم عن الغـــزو (زمزمى ١٩٨٥ ، ٤٨ ، لوموند فى ٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٩) . ولم يتمكن العراق فى غضون شهر كامل من احتلال اى مدينة سوى مدينة خورمشهر . وكان ٩٠٪ من هذه المدينة قد دمر بسبب مقاومة السكان المكثفة . وبعد شهرين سيطر العراقيون على ما يقرب من ثلث الاقليم وهو جزء مدمر وضئيل السكان . وقد تم اجبار ما يقرب من مليون ونصف مليون من ســـــكان خوزستان للهرب الى وسط ايران . ثانيا : اثبت الجيش الايرانى على عكس التقديرات العراقية ولاءا كاملا للنظام وكان العراق يأمل فى كسب جزء من الجيش لصفه بيد ان العمليات الحربية قد اثرت فى أوساط الجيش الايرانى تماما وشجعت ولاءهم للنظام .

تركزت العمليات الحربية فى الشتاء لاسترداد مدينة عبدان المحاصرة من القوات العراقية . وفى شهر ديسمبر فتح الجيش العراقى جبهة جديدة فى كردستان الايرانية ولم يحالفه النجاح لنفس الأسباب التى واجهته فى خوزستان ، حقيقة كانت الحركة الكردية تحارب النظام الايرانى اعتمادا على مساندة العراق بيد انها لم تربط نفسها بالاستراتيجية العراقية . وفى يناير عام ١٩٨١ حاولت ايران القيام بهجوم صغير بيد انه تعثر . وفى شهرى نوفمبر ومارس لاحت مظاهر الانهاك على الجيش العراقى وطبقا لجميع الظواهر لم يعد قادرا على مواصلة الهجوم بنجاح

ب ــ حــرب المواقع الثابتة

استطاع العـــراق السيطرة على ما يقرب من ١٤٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ونظرا لانه لم تكن هناك بوادر على تحقيق نصر سريع او نهـــاية للحرب ركز قواه على بناء تحصينات وخطوط دفاعية . وخلال عام تقريبا اى بدءا من مارس ١٩٨١ حتى مارس ١٩٨٢ نظمت ايران المقاومة فى خوزستان ولكنها لم تتمكن من بدء هجوم كبير يمكن ان يرغم القوات العراقية على الانسحاب . وبمرور الزمن انقلب الحظ ليصبح حليفـــا لايران . فقد قـــام سلاح الجـــو الايرانى بتحطيم ٤٦ طائرة عراقية مقاتلة فى غارة ناجحة على قاعدة لسلاح الجـــــو العـــراقى .

وادعت الحكومة العراقية ان الطائرات الايرانية قد اقلعت من قـــواعد سورية (هيرو ١٩٨٤ ، ٧ : شتاونملير ١٩٨٣ ، ٨٤ ، ٣٤) .

ان ثمـــة تطورا جديدا فرض نفسه فى هذه الآونة هو المجال الاقتصادى . فقد كانت ايران بعزلتها المتزايدة من أزمات اقتصادية ولكنها زادت اخيرا من انتاجها للبترول . وباعته بأقل من مستوى الأسعار الذى حددته منظمة الأوبك وترتب على ذلك ارتفاع عائدها من البترول فى ابريل عام ١٩٨٢ ليصبح مقاربا لمستوى الذى كان عليه قبل الحرب . ومن جهة أخرى عطلت أحداث الحرب تصدير البترول العراقى من أهم حقوله فى الجنوب ونتيجة لذلك لم يتمكن من تصدير سوى ثلث الكمية المعتادة عبر انابيب البترول الممتدة عبر سوريا وتركيا (هيرو ١٩٨٤ ، ٨) واستنفد العراق ــ الذى يعد أقوى من ايران من ناحية العائد البترولى ــ احتياطه من العملات الأجنبية (ما يقرب من ١٥ مليار دولار ، وأصبح يعتمد ماليا على دول الخليج .

وادت الاحداث الداخلية فى ايران الى تقـــوية القوى الداعيـــة لمواصلة الحرب وأدى التخلص من الرئيس بنى صدر والقـــوى المعارضة الأخرى الى وقوع السلطة السياسية فى ايدى الأصوليين الاسلاميين الذين يؤيدون مواصلة الحـــرب .

وتمكنت وحدات الجيش الايرانى من احراز نصر جزئى فى العمليات البرية ايضـا ــ نفى صيف ١٩٨١ امكن اختراق الحصـــار العـــراقى لمدينة عبـــدان وفى نوفمبر استولت وحدات ايرانية على تحصينات على طول نهـــــر قارون الذى يعتبر خطا دفاعيا جغرافيـــا هاما . ويمكن وصف هذه الفترة ابتداء من مارس ١٩٨٢ بأنها فترة حـــرب المواقع الثابتة فلم يتمكن اى طرف من تحقيق نجاح كاسح (شتاونماير ١٩٨٣ ، ١٣٨٠٢ هيرو ١٩٨٤) .

ومن الناحية السياسية وصل الغزو العراقى لايران الى طريق مسدود وانخفضت المطالب العراقية الرسمية عمليا عند نهاية هذه الفترة الى الصفر ولم يبق سوى مطلب الانسحاب الحر وغير المشروط .

كان العراق قد أعلن فى بداية الحرب تحرير عربستان البـــلد العـــربى (خوزستان) وذكر نائب رئيس الوزراء ان حقول البترول فى خوزستان حقول عربية وطالب بأحقية العراق بها (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) وفى بداية الحرب كانت هناك مبادرات عديدة من جانب الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز ومنظمة الدول الاسلامية لتسوية الخلاف وانهاء الحرب . هذا ووضع العراق ــ الذى كان يفكر فى انتصار سياسى سريع ـ الشروط التالية للسلام .

* عودة كل شط العرب الى سيادة العراقية .

* تعديل الحدود نظرا لان العراق قد شعر بانه تعرض للخســـــاره فى معاهده الجزائر .

* عودة الجزر الثلاث التى تحتلها ايران للعرب .

* عدم تدخل ايران فى الشئون الداخليـة العراقية (زمزمى ١٩٨٥ ، ٩٩ ، لوموند فى ١٩٨٠/٩/٢٧ ، ١٩٨٠/٩/٣٠ ، ١٩٨٠/١٠/٣) .

ولم تطالب دول الخليج على الاطلاق باستعادة الجزر ولم تجعل من العراق متحدثا عن مطالبها . وكان الموقف الايرانى واضحا وهو رفض أى وقف للقتال الى أن يتم الانسحاب غير المشروط للقوات العراقية وادانة المنظمات الدوليـة للغزو العراقى وقد قيل ذلك بوضوح « لاولوف بالم » المبعـوث الخاص من الأمم المتحدة . وقد حاول العراق — الذى كان مهتما بالتوصل الى حل سريع للمشكلة — ممارسة ضغط عسكرى اكبر على ايران عن طريق محاولته احتلال مدينة سوسنجارت فى ١٩ ، ٢٠ مارس عام ١٩٨١ ، بيد ان الجيش العـراقى قد منى بهزيمة نكراء فى هذه المحاولة الأمر الذى كان يعتبر اشارة واضحة على حالة الجيش العراقى المنهك . ولقد كانت معركة سوسنجارت نقطة تحول من مرحلة الغزو الى مرحلة حرب المواقع الثابتة خلال الفترة الأولى للحرب .

ولم تنجح الخطة العراقية لاستغلال تذمر الأقلية القومية فى ايران باستثناء نجاح جزئى فى كردستان . وكانت التوقعات العراقية تذهب الى ان شخصية ايران الشعوبية تمثل نقطة الضعف التى يمكن ان تؤثر على مسار الحـــرب (وكانت وسائل الاعلام العراقية تتحدث فى الغالب من شعوب ايرانية وليس عن شعب ايرانى) . وكثيرا ما كان الرئيس العراقى صدام حسـين يوجـه رسائله المفتوحة الى « الشعوب الايرانية » . وفى بداية الحرب دعا العراق الشعوب الايرانية الى التحرر من نظام الخمينى والتعاون مع العراق ، ويتضح من ذلك ان الهـدف العـراقى كان تغيير نظـام الحكم فى ايران (انظـر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٠٠) .

فشلت الجهود الايرانية لكسب الشعب العراقى باستثناء بعض منظمات ذات ميول سياسية واتجاهات معينة ولم تجد نداءات الخمينى للقبائل العراقية للثورة على النظام ولسكان المدن للتوقف عن دفع الضرائب واية مستحقات عامة اخرى لم تجد هذه النداءات الا صدى ضئيلا . واتضح فى هذا المجال مدى جهل النظام الايرانى بخواص النظـام العراقى وظروف الصراعات الداخليـة فى العراق . وفى ابريل عام ١٩٨٢ . اعلنت ايران بما لا يدع مجالا للشـك ان هدفها هو الاطاحة بنظام حكم صدام حسين (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) .

وكلما ازداد اليأس فى مسار الحـرب وكلما زاد الخصمان من المناورات فى المواقع الحربية الثابتة كلما اصبحت رؤيتهم للهدف اكثر بعـدا عن الواقع اتساعا . وجرى ترتيب التحالفات فى الفترة الأولى على المسـتويين الاقليمى والدولى لمواصلة الحرب . وايد الاردن فقط العراق صراحة وبذلك فشلت خطة العراق لتعريب الحرب فقد اعربت المملكة العربية السعودية ودول الخليج عن تأييدها السياسى الحذر للعراق كما قدمت له مساعدات مالية سخية بيد انها

رفضت اى تدخل عسكرى ، هذا ووضع الكويت اراضيه وخليج العقبة فى الأردن تحت تصرف العراق . ولكن الهجوم الجوى الايرانى على قوافل النقل العراقية بالسيارات فى الاراضى الكويتية دفع لكويت لاتخاذ موقف أكثر حرجا (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) .

كان الموقف الايرانى يحظى بتأييد سوريا وليبيا وبتأييد اقل من الجزائر واليمن الجنوبى مما أدى الى فشل الخطة العراقية التى تهدف لاقامة تضامن عربى قوى مع العراق . وفى نوفمبر عام ١٩٨١ اتسع نطاق حملة المتطوعين المصريين للعراق (هيرو ١٩٨٤ ، ٨) وفى ديسمبر أعلنت البحرين عن محاولة انقلاب قامت بها منظمة موالية لايران الأمر الذى فهم على أنه تحذير لدول الخليج (هيرو ١٩٨٤ ، ٨) . وابتداء من فبراير عام ١٩٨٢ انشغل مجلس التعاون الخليجى بوضع خطط لأمن الخليج وقدمت الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها آراء مشابهة (انظر أنتونى ١٩٨ ، ١١٢ — ١١٤) .

٢٠٤ — الانسحاب والغزو المضاد

مارس ١٩٨١ — مارس ١٩٨٤

(أ) انسحاب القوات الايرانية

لاحت فى ربيع ١٩٨٢ بوادر هجوم مضاد من جانب القوات الايرانيه . وتوقع الجيش العراقى الهجوم الايرانى على خورمشهر بيد ان ايران هاجمت خطوط التحصينات الشمالية عند ديسفول . ووقع الهجوم فى ٢١ مارس العيد الوطنى العراقى وكان لابد أن يثير هذا التاريخ الرمزى وطنية وحدات الجيش الايرانية . حيث اشترك ٢٠٠,٠٠٠ جندى ايرانى فى هذه العملية واستخدمت المدفعية وطائرات الهليوكبتر بجانب الاسلحة الخفيفة والمتوسطه (صواريخ آر.بى.جى٧ ، آر.بى.جى١٠ .... الخ)وفى فترة وجيزة تم تحطيم خطوط التحصينات العراقية وتدمير ثلاث وحدات للجيش من بينها وحدة للمشاة الميكانيكية كما أسر ١٥,٠٠٠ جندى عراقى (شتاونماير ١٩٨٣ ، ٤٠) .

وكان الجيش العراقى الذى كان يتوقع هجوما ايرانيا منذ وقت طويل قد أصيبت بالانهاك كما تحطمت معنوياته القتالية . بعد أن كان العراق قد دخل الحرب بتعلقات واسعة فى البداية أعلن الآن استعداده للانسحاب غير المشروط . وقد أثار الموقف المتغير داخل أواسط الجيش تساؤل عن جدوى الحرب وأثر تأثيرا مهبطا للعزيمة . وهذا هو السبب المباشر للانهيار السريع للجيش العراقى الذى كان مفاجأة للمراقبين الغربيين أنفسهم . وبعد الانتصار اعدت ايران نفسها لاستعادة مدينة خورمشهر ولكنها تركت لنفسها مهلة كثفت خلالهما الضغط الاقتصادى والسياسى على العراق . .

وفى ٨ أبريل أغلقت سوريا حدودها مع العراق بحجة مساندة العراق للاخوان المسلمين المعارضين ، وبعد يومين أوقفت خط انابيب البترول العراقى فى بانياس على البحر المتوسط وفى الوقت الذى استطاعت فيه ايران رفع مستوى انتاج البترول الى نفس مستواه قبل الحرب ، انخفض هذا المستوى فى العراق ليصل الى ٦٠٠,٠٠٠ برميل يوميا . ونتيجة لذلك وجد الرئيس العراقى صدام حسين نفسه مرغما على فرض سياسة تقشفية صارمة فى بلاده . والغيت فى ظل سياسة « شد الحزام » العديد من الامتيازات أو خفضت .

وأدت الاجراءات السورية الى تضامن المحور العربى مع العـــراق وذكرت مصادر غير رسمية أنباء عن مرابطة أكثر ٢٠٫٠٠٠ جندى أردنى فى العراق . اما مصر فباعت للعراق فى مارس ١٩٨١ أسلحة بلغت قيمتها مليون ونصف مليون دولار (واشنطن بوست فى ١٩٨٢/٥/٢١) كما شجعت اشتراك المتطوعين المصريين فى الحرب . ومن بين المليون المصرى العاملين فى العراق تطوع ما يقرب من ١٥٫٠٠٠ و ١٧٫٠٠٠ فى خدمة الجيش العراقى . وقـــد أنكر العراق وجود أية وحدات أردنية أو مصرية نظامية بيد أنه أعلن التحاق ١٤٫٠٠٠ عربى من دول عربية أخرى (مصر والاردن والسودان والمغرب وتونس واليمن الشمالى) بالجيش الشعبى العراقى (هير ١٩٨٤ ، ٨)

واقترح العراق الذى كان يخشى هزيمة فى خورمشهر هدنة للانسحاب غير المشروط لجيشه . ورفضت ايران هذا العرض لانها كانت تدرك مـــدى الضعف الذى أصاب العراق وفى ٢١ مايو بدأت ايران الهجوم على الجنود العراقيين الـــ ٣٥٫٠٠٠ الذين كانوا يحاصرون خورمشهر بحوالى ٧٠ ألف جندى ايرانى ولم يكن هناك صدى للنداء العراقى الذى وجهه الى الجامعـــة العربية . وفى ٢٤ مايو انهار الجيش العراقى ووقع ١٢٫٠٠٠ جنـــــدى عراقى أسرى فى أيدى الجيش الايرانى . وبعد تحرير خورمشهر ركزت ايران عملياتها فى المناطق الواقعة فى القطاعات الشمالية والوسطى من الجبهـــة والتى كانت لا تزال محتلة من العراق .

حددت ايران الآن اهدافها السياسية من الحرب بشكل مادى . وسعيا الى تحييد دول الخليج اظهرت عدم اهتمامها بالتدخل فى شئون تلك الدول . واصبح السلام ممكنا من وجهة النظر الايرانية فى حالة عزل الرئيس العراقى . وتشاورت كل من المملكة العربية السعوردية وسوريا حول الخليفة المتوقـــع لصدام حسين . وقد اقترحت المملكة العربية السعودية شفيق دوراشى لهذا المنصب الذى كان سفيرا للعراق فى الرياض كما كان رئيسا سابقا لجهـــاز المخابرات وسكرتيرا سابقا لمجلس الثورة العراقى . أما سوريا فقد شجعت فكرة عودة الرئيس العراقى السابق البكر الذى اســـتطاع تسوية الصراعات المستعرة بين أجنحة حزب البعث فى ربيع ١٩٧٩ وتمكن بذلك تحقيق التقارب مع سوريا الى أن استبعده نائبه صدام حسين (جارديان فى ١٩٨٢/٦/٣١) .

ولا يعول على المعلومات الخاصة بالمفاوضات السرية ومن الممكن تماما أن يكون الايرانيين . الذين كانوا يشعرون بموقفهم القوى ـــ قـــد أبدوا عـــدم استعدادهم لقبول مرشح يقبل التسوية . فقد تم اعدام عدد من السياسيين من بينهم ابراهيم وزير الصحة ـــ الذين كانوا يؤيدون اقتراحات التسويـــة على أساس انها فى مصلحة العراق .

وفى ٢ مايو قـدم مجلس التعـــاون الخليجى اقتراحا بوقف اطلاق النار لمدة عشرة أيام حتى يتم انسحاب الجيش العراقى وأجراء مفاوضات جديدة بين الاطراف المتنازعة على أساس اتفاقية الجزائر ورفضت ايران هذا الاقتراح أيضا (هير ١٩٨٤ ـ قارن الجارديان فى ١٩٨/٥/٧) .

واضاف غزو اسرائيل للبنان فى أوائل يونيو عام ١٩٨٢ عنصرا جديدا للحرب . وقـد حاول العراق الاستفادة من هذا الوضع حيث دعا الى انهاء الحرب والنضال المشترك ضد اسرائيل .وردت ايران بشكل واضح أن « تحرير القدس يمر عبر كربلاء » (زمزمى ١٩٨٢ ـ ١٢٢ ـ ١٢٧) .

الغزو المضـــاد

رفضت ايران فى ١٢ يوليو ١٩٨٢ اقتراحا من جانب مجلس الامن يتضمن مدنة يتم خلالها انسحاب كل من الجيشين . وكانت ايران تخطط للقيـــام بغزو العراق بهدف الاستيلاء على البصرة ثانى أكبر المدن العراقية . وفى الفترة بين ١٢ حتى ٢٢ يوليو وصلت القوات الايرانية الى مواقع مجاورة تماما من المدينة بيد أنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها . وقد تكبـــدت ايران خـــلال المعـــارك الحربية أكبر خسائرها من الجنود (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٢٧) . ويرجع الفضل فى نجاح العراق الى سلاحه الجوى القـــوى والى أكبر قوة للنيران والى الخطوط الدفاعية التى أنشأها خبراء عسكريون أجانب على احدث النظم وبالاضافة الى ذلك لعبت الروح القتالية للقوات العراقيـــة التى كانت تحارب على أرضها وليس على أرض أجنبية دورا أساسيا وكانت ايران لا تضع هذا العامل فى اعتبارها فى العمليات الايرانية الاخيرة .

بيد أن ايران تمكنت من احراز نصر دبلوماسى ، وتحت الضغط الايرانى تم الغاء مؤتمر عدم الانحياز الذى كان سيعقد فى العراق ونقل الى مكان آخر (وكان العراق قـــد أعـــد قائمة مؤتمرات جديدة لهذا الغرض كما كان صدام حسين يامل فى رفع مكانته) .

وقدمت ايران مطالب جديدة : —

— ادانة الغزو العراقى .

— حق العودة لمئات الاولوف من الشيعة الذين طردوا من العراق .

— دفع مائة مليار دولار كتعويض عن خسائر الحرب (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠).

وفى شهر سبتمبر ونظرا لاقتراب موسم الحج تقدم مؤتمر فاس باقتراح جديد لوقف القتال وهو : انشاء صندوق اسلامى خاص لاعادة التعمير تشترك فى تمويله الدول العربية البترولية ويتولى دفع التعويضات المطلوبة ولكـــن ايران رفضت هذا العرض ايضا نظرا لانها كان مهتمة أساسا باحداث تغيير راديكالى فى نظام الحكم العراقى . وابتداء من نهاية شهر اكتوبر عـــام ١٩٨٢ حتى يوليو عام ١٩٨٣ نظمت ايران هجمات موسعة فى القطاع الاوسط للجبهة (تجاه بغداد) وفى المنطقة الكردية فى الشمال عن طريق ما يسمى « بالحوائط البشرية » وقد كبدت هذه العمليات ايران خسائر فادحة ولم تحقق ســـوى نجاح نسبى فقط . فقد تمكنت ايران حقا من كسب أراض جديدة بيد انها لم

تستطع الاستيلاء على أية مدينة أو على الطريق الاستراتيجى بين بغداد والبصرة .

أمابالنسبة لقطاع التسليح فقد تحول (البترول) لصالح العراق الذى كان قد فقد اثناء فترة الانسحاب والغزو الايرانى المضاد ١١٧ طائرة و ٢٣٠٠ دبابة ولكنه تمكن بسرعة من تعويض هذه الخسائر . واعاد العراق بناء اسطوله الجوى بحوالى ٢٣٠ قطعة من الطائرات الصينية الصنع (ام . ان سى . ١٩ ، ام . ان . سى ٢١) التى اشتراها من مصر بالاضافة الى طائرات الميراج الفرنسية (هيرو ١٩٨٤) . وعاد الاتحاد السوفيتى ، الذى كانت اسلحته فى بداية الحرب تشكل ٨٥٪ من الاسلحة العراقية والذى كان قد خفض امداداته من الاسلحة بشكل كبير ، وعاد الى تكثيف هذه الامدادات بسبب الغزو الايرانى المضاد ورفع الحظر الذى كان مفروضا على مبيعات السلاح وحصلت ايران على مواد التسليح من كوريا الشمالية ومن سوريا وليبيا من السوق السوداء الدولية كما تمكنت أيضامن تنظيم الحصول على قطع غيار اسرائيلية الصنع لطائراتها وكان النقص فى التسليح واضحا بالنسبة للسلاح الجوى رلم تتمكن الحوائط البشرية أن تحل محله وانخفض عدد المقاتلات فى فترة الحرب من ٤٧٥ الى ٨٠ طائرة (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر شاونماير) .

وكانت هناك ظروف سياسية مسئولة عن فشل الغزو الايرانى المضاد والهجمات الايرانية المضادة . ففى الفترة التى تلت النجاح المسكرى العراقى فى كردستان (احتلال منطقة حاج عمران) أعلنت ايران أن توحيد المعارضة الشيعية فى العراق فيما يسمى بمجلس الثورة الاسلامية فى العراق يعتبر بديلا عن النظام الحاكم ، بيد أن هذا البديل الشيعى المتحالف مع ايران لم يلق سوى قبول ضئيل بين الشعب العراقى خاصة فى كردستان . ويمكن الاشارة الى أسباب اخرى أدت الى فشل الغزو الايرانى المضاد كالعزلة النسبية للبلاد والمحاولات التى بذلت من أجل كسب النفوذ السياسى فى العراق ، مما ساعد صدام حسين على مساعدات غير متوقعة . وعلى الرغم من التفوق العسكرى الايرانى فى النصف الاول من عام ١٩٨٢ نجد أن العوامل السياسية — وخاصة تأييد الدول الكبرى والاقليمية للعراق — أدى الى افشال الأهداف الايرانية لتغيير نظام الحكم العراقى (هيرو ١٩٨٤) .

واستطاع الجيش العراقى حقا ايقاف الزحف نحو مدنه ، بيد انه لم يتمكن من طرد الجيش الايرانى خارج البلاد بل قام العراق بقصف المدن الايرانية . وفى يناير عام ١٩٨٧ أمدت فرنسا العراق باحدث الطائرات وهدد العراق بقصف حقول البترول الايرانى وكان العراق يبغى تحقيق هدفين من هذا التهديد :

أولا : اجبار كل من ايران وسوريا على فتح خط انابيب البترول العراقى المتوقف على البحر المتوسط .

ثانيا : توريط دول الخليج والدول الكبرى فى الصراع للتعجيل بانهـــاء الحرب .

واعلنت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية وخاصة فرنسا فى مده الفترة تاييدها للعراق وذلك للحيلولة دون أى هجوم ايرانى حيث كانت الولايات المتحدة الامريكية تسعى أساسا الى تأمين حلفائها فى الخليج وتأمين مصـــالحها الاستراتيجية ، أما فرنسا فقد كان اهتمامها منصبا على الحفاظ على مصالحها كمنتج للأسلحة مورد لقطع الغيار لنظام صدام حسين (هيرو ١٩٨٤ ، ١١) وقد وصلت قيمـــة صادرات الاسلحة الفرنسية فى الفـــترة من سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهايه عام ١٩٨٣ حوالى ٥ر٦ مليار دولار ، وتمت تغطية عمليـــة الدفع عن طريق قرض فرنسى (هيرو ١٩٨٤ ، ١١) . وكان انتقـــال السلطة الى نظام اسلامى موال لايران يعنى اصابة فرنسا بخسائر اقتصادية فادحـة الى جانب النتائج الاقليمية غير المرجوة وقد كان ممكنا أيضـــا أن تتزايد حجم هذه الخسارة فى حالة رفض هذا النظام اعادة دفع الالتزامات القائمة .

وفى عام ١٩٨٣ ، احتلت ايران مناطق جديدة فى بن جوين فى كردســـتان العراقية واضطر العراق الى ارسـال قوات الحـــرس الجمهورى للدفاع عن المناطق واستخدام الاسلحة الكيميائية لاول مرة . وتقصف المدن الايرانية بأحدث الصواريخ من طراز سكود بى واجبر الهجـــوم على السفـــارة الامريكية (فى٥ نوفمبر) ومنشآت كويتية من قبل المنظمات الموالية لايران والكويت على وقف تاييده للعراق .

وفى فبراير عام ١٩٨٤ بدات ايران فى شن هجوم جديد على الجبهـــة الجنوبية بهدف الاستيلاء على مدينة كورنا الواقعة على ملتقى نهـــرى دجلة والفرات عند مدخل شط العرب . وفى ٢٢ فبراير أعلنت ايران نجاح هـــذه العملية ، الامر الذى كان مجافيا للحقيقة ، فالوحدات الايرانية كانت قد وصلت بالفعل الى الطريق الذى يربط بين بغداد والبصرة الا انها أجبرت على التراجع وقد احتلت القوات المسلحة الايرانية فى سياق هذه المعارك جزيره مجنـــون الغنية بحقول البترول غير المستغلة .

تعرض العراق فى هذه الحقبة لضغط مكثف لم يستطع الصـــمود أمامه الا بالمساعدات العسكرية الضخمة من الاتحاد السوفيتى وفرنســـا ومصر . واعتبرت الصحافة العالمية فى عام ١٩٨٣ تغيير الحـــكم فى العراق يتفق مع المصالح الايرانية وأمرا محتمل الحدوث ، بيد أن الهجوم كان مازال بعيـــد من هذا الهدف على الرغم من النجاح الجزئى الذى أحرزته القوات الايرانيـــة .

٣/٤ حرب الاستنزاف وحرب جديدة

للمواقع الثابتـــة مارس ١٩٨٤

يعتبر التوتر فى الخليج وما يسمى « بحرب الناقلات » علامة بارزة لبداية هذه الفترة فقد كان السلاح الجوى العراقى قد هاجم ٥٠ ناقلة وسفن آخرى فى الخليج فى السنوات الثلاث الاولى من الحرب وكان العراق يهدف من وراء ذلك الى تدمير محطة تصـــدير البـــترول الايرانية فى « جـــزيرة خـــرج » وفى ١٢ اغسطس عام ١٩٨٢ أعلن العراق أن الجـــزء الشمالى من الخليج يعتبر منطقة عسكرية محظورة . وفى الفترة من ١٨ الى ٢٥ اغسطس قصفت الطائرات العراقية المقاتلة أجزاء من هذا الميناء البترولى ، ولكن لم يؤثر على تصـــدير البترول الايرانى الا بدرجة ضـــئيلة . وفى ٢٧ مارس عام ١٩٨٤ استخدم العراق الامدادات العسكرية الفرنسية ودمر أجزاء هامة من الميـنـــاء البترولى الامر الذى كان له اثر بالغ فى هـــذه المرة على تصـــدير البترول الايرانى ، وهددت ايران هذه المرة باغلاق مضيق هرمز وكان يمكن أن يشـــل ذلك حركة الملاحة فى الخليج ، ويجمد الجـــزء الاكبر من صادرات البـــترول لدول الخليج وكان الاسطول الايرانى الذى كان متفوقا على الاسطول العربى منذ بداية الحرب بالاضافة الى ســـــاحل الخليج الايرانى الطويل يشكلان تهديدا جادا على دول الخليج . وقد دفعتها الرغبـــــة لضمان أمنها فى ابداء استعدادها وكذلك الولايات المتحدة الامريكية للتفاوض (هيرو ١٩٨٤ ، ١٢) .

وفى ٢٥ ابريل اصابت صواريخ عراقية احدى الناقلات السعودية وكانت قد ابحرت من ميناء خـــــرج الايرانى . وفى ٧ و ١٥ مايو دمرت أيضا ناقلتين اخرتين فى هجوم جوى . وادى ذلك الى خلق موقف متوتر للغاية فى المنطقة دفع الرأى العالمى الى اعادة تذكر هذه الحرب المنسية .

وخضع العراق لضغط دول الخليج المهددة ، والتى تساند العراق ماليا وأوقف حرب الناقلات للحيلولة دون حدوث تصعيد اكبر فى الخليج . وفى ١١ يوليو عام ١٩٨٤ قبلت الدولتان المتحاربتان مبادرة من الأمم المتحدة . فقد اثرت حرب الناقلات على الأوبك وعلى تصدير البترول والايرانى . وارتفعت أسعار التأمين فى مايو ١٩٨٤ من ٧٥ر٪ الى ٥ر٧٪ (هيرو ١٩٨٤ ، ١٣) . وادى الهدوء ، خفة حدة التوتر النسبى فى الموقف فى الخليج الى عدم تدخـــل الدول الكبرى فى احداث الحرب ، بيد أن ذلك كان يعنى اطالـــة أمـــد الحرب البرية . ونظرا للخسائر الفادحة تم استبدال (التاكتيك) الايرانى — أى فاستبدلت ايران بالهجوم الكبير عن طريق الحوائط البشرية — حرب استنزاف طويلة .

وعلى أساس ما سبق ذكره من عوامل أساسية لا يبدو أن هناك نهاية قريبة للحرب . فقد أدت العوامل الخارجية الى الحفاظ على التوازن فى كل من ايران والعراق وثبت عجز كلتا الدولتين عن تحقيق نجاح حاسم ولذلك ليست هناك نهاية لحرب الاستنزاف ولحرب المواقع الثابتة .

وأثرت العوامل الاقليمية والدولية على الطريق المسدود بقدر تأثره بالهياكل الداخلية للدولتين المتورطتين فى الحرب والتناقضات الثقافية والدينية والقومية فيهما .

وسيتناول الجزء الثانى من الكتاب تحليلا لهذه العوامل وآثارها على مسار ونتائج الحرب . ويعتمد الوصف العسكرى للمسار العسكرى للحرب فى هذا الكتاب أساسا على مقال ديلييب هيرو فى ميريب ريبورت عدد ١٢٥ ، ٢٦ سبتمبر عام ١٩٨٤ .

٥ ـ مدخلات الحرب وتأثيراتها

تحولت المواجهة العسكرية بشكل متزايد الى وضع الجمهور بين كلا الطرفين وأصبح البحث عن الحل السياسى غير وارد بالرغم من حرب الاستنزاف . وفى خريف سنة ١٩٨٣ أخذت الحرب الايرانية بعدا جديدا ، فمن ناحية تزايد خطر امتداد ويلات الحرب الى الدول الخليجية مع احتمال تورط القوى العظمى . ومن ناحية أخرى تحول الصراع وبشكل متزايد الى المستوى الاقتصادى . وولد ذلك فى البداية انطباعا بأن طرفى الحرب ربما تمكنا من الخروج من الطريق العسكرى المسدود للحرب واتجها الى حل سياسى .

وأوضحت الحرب الاقتصادية التى وصلت الى ذروتها بالتدمير الجزئى لميناء تصدير النفط الايرانى ، مدى ما أصاب الدولتين وأظهرت فى نفس الوقت بجلاء صعوبة تدمير القدرات والطاقات الاقتصادية لكلا البلدين بشكل كامل كما بينت قدرة التكيف الضخمة للهياكل الاقتصادية مع الظروف المتغيرة ، وسنحاول فى هذا الفصل تحليل المدخلات السياسيه والاقتصادية للحرب فى كلا البلدين وكذا تأثيرات هذا الصراع على المستوى الاقليمى وعلى سياسة القوتين العظميين

٥ ـ ١ : تاثيرها على ايران :

على الرغم من أن حجم الحرب قد فاجأ ايران واصابها داخلية وخارجية خانقة نجد ان الحكام الايرانيين وصفوا الحرب لأية الله الخمينى على انهــــا « هبة من السماء » ، ورحب قطاع من المؤسسة الايرانية الحاكمة بهذه الحرب على المدى الطويل انطلاقا من مصالح واضحة وجلية واطماع اقليمية وهيأت هذه الحرب لحكام ايران تحقيق الاهداف الداخلية التالية :

- تعبئة الجماهير ضــد اى عــدو خارجى لتامين القاعــدة غير المستقرة للجمهورية الايرانية الجديدة من وجهة نظر النظام ٠

- القضاء على المعارضة ، خاصة من التيارات اليسارية والوطنيــة وكذلك ايضا ما يصفه الحكام المتشددون بالاتجاهات الاسلامية الليبرالية التى يمثلها بنى صدر ٠

- أخفت الحرب الازمة الاقتصادية الطاحنة واصبحت غير مسئولــة عن عــدم الوفاء باغلب الوعود التى قطعتها الثورة عــلى نفسها وعلى الرغم من الخراب والخسائر البشرية وتدمير المنشآت الاقتصادية رسخ وضع الحكام الايرانيين وتوطدت الدولة ومؤسساتها ٠

ويمكن بيان المؤثرات السياسية على جهاز الدولة كما يلى :

(أ) قوى مركز الجيش الذى كان ضعيفا قبل اندلاع الحرب وغير منظم فى بداية الحرب ونقصه بعض التجهيزات وكان لا ينعم بثقة الحكام الجدد بوصفه حاملا لايديولوجيات ما قبل الثورة القديمة واعيد تنظيمه ورد اعتباره سياسيا وصار من أهم عوامل الحكم وكان الجيش قد تعرض قبل الحرب لبعض حملات التطهير واصبح الخمينى يطلق عليه الآن جيش الاسلام وجيش امام الزمان (اى المهدى المنتظر المخلص للشيعة) . . (انظر رسالة الخمينى فى ١٩٨١/٣/٤) ٠

(ب) حقق الحرس الثورى الذى يمثل احدى الجماعات الموالية ايديولوجيا لنظام الحكم ، نفوذا واسعا ابان الحرب فمن ناحية زاد عدد افراده الى ما يزيد عن مائة الف وازدادت قوته بانضمام مئات الالاف مــن المقاتلين المتطوعين ٠ ومن ناحية أخرى استغل الحرس الثورى الحرب ودوره فيها لتحسين تسليحه باسلحة خفيفة وثقيلة (صحيفة جمهورى اسلامى فى ١٩٨٠/١١/١٢) : فضلا عن ذلك حظى الحرس الثورى باهمية سياسية متعاظمة فى الصراعات الداخلية على الحكم ممــا أدى الى تعيين وزير مسئول عن حــرس الثـورى الى جانب وزيــر الدفاع واكد الحرس الثورى فى هذه الحرب انه يمكن أن يكون بديلا

عن الجيش أو على الأقل هو تنظيم مواز له القوة والأهمية . وفى الوقت الذى كان الجيش النظامى يعمل فيه على الجبهة كان الحرس الثورى يتولى الاشراف على المواقع الاستراتيجية فى البلاد وفى مقدمتها أهم المدن وأمن لنفسه بذلك قاعدة نحو أى قادم على الحكم .

(جـ) ترشيح بيروقراطية الدولة بعد القضاء على اتجاهات معينة وتوحيد الساسة القياديين بعد انشاء جهاز قمعى منظم . وفى المجال الاقتصادى عملت القيادة الدينية على وقف أى خطوات اخرى للتأميم وكان من الممكن ان تؤدى الى تنامى السلطة الاقتصادية للدولة . ونظــرا لان الحرب تدعـم الاتجاهات المركزية نجد أن احتمالات حدوث مثل هذا التطور مازالت قائمة .

وأثرت العوامل التالية بشكل سلبى على الموقف فى ايران :

— العزلة الدولية بسبب خطف الرهائن وما أدى ذلك من عقوبات .

— الصراع مع دول الخليج مما أدى الى دعمها للعراق .

— وجود مشاكل داخل القيادة المستقلة للقطاع الصناعى .

— وجود نقص فى التكنولوجيا المتقدمة وفى نوعيات الاسلحة المتخصصة وفى المقابل افادت العوامل التالية الموقف الايرانى :

- ترامى مساحة البلاد وما يرتبط بذلك من ترامى مساحة العمق ومرونتها استراتيجيا وعسكريا .

— زيادة عدد سكان ايران ثلاث مرات على سكان العراق مما سمح لطهران بتعويض الضعف الفنى بالتفوق البشرى .

— القوة الايديولوجية لدى ايران افادت فى القيام بعملية تعبئة واسعة أثناء الحرب ، مما أتاح قاعدة سياسية آمنة للحكام .

— الاعتماد المحدود غير المطلق على البترول بالمقارنة مع العراق ، مما ترتب عليه تحدد فى الحرب الاقتصادية وتحدد استيراد المواد الغذائيــة ومساهمة جزء كبير من راس المال الخاص فى الصناعة .

اما الصعوبات الأخرى مثل المعدل العالى للبطالة وتدفق اللاجئين فقد حاولت ايران الحد منها عن طريق التعبئة السياسية والايديولوجية والدعائية للحرب .

٢/٥ : تأثيرها على العــراق

أخذت القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية للعراق فى الانخفاض عند بدء الحرب ومع استمرارها ولكن العــراق استفاد من الامور التالية : ـــ

ـــ وجود احتياطى كبير نسبيا من العملات الصعبة مع وجود جيش جيد التسليح ولكن كلا هذين الامرين تآكلا مع استمرار الحرب .

توافق الظروف السياسية الدولية والاقليمية التى وفرت للعراق مساندة على كل الاصعدة عوضت نسبيا ضعف البلاد الناشىء عن عوامل داخلية .

ـــ مع استمرار الحرب استفاد العراق من عدم قبول الشعب العراقى للرؤية الايديولوجية الايرانية . فعلى الرغم من ان العراق هو الذى بـــدأ الحرب نجد انه استطاع استغلال رفض قيام نظام حــكم اسلامى وتحويله الى سلاح دفاعى للوقوف أمام القوات الايرانية الغازية .

ـــ لم يساند العمق العراقى ، المتمثل فى الاردن والسعودية والكويت ، العراق ماديا فقط بل وضعت هذه الدول ما لديها من امكانيات مالية وماديـــة تحت تصرف بغداد واعطت ذلك حق استخدام القواعد العسكرية الاردنية وقد استفادت الطائرات العراقية من ذلك عند تعرضها لأى مأزق .

ـــ وجود مصادر متنوعة للتسليح .

أما العوامل التى اضعفت موقف العراق فلقد كانت كما يلى : ـــ

ـ الوضع الجغرافى ، فبغداد العاصمة واغلب المدن واهم المناطـــــق الصناعية وحقـــول البترول تقع على نهر دجـــلة على مقربة نسبية من الحدود الايرانية ومن السهل من الناحية العسكرية الاستيلاء على بعض النقـــاط المركزية من هذا العصب الحيوى العراقى .

ـــ اعتماد شبه كامل على عائدات البترول وتشغل صـــادرات البترول العراقى اكثر من ٩٠٪ من اجمالى حجم الصادرات .

ـ وجود نظام اقتصادى وسياسى منظم مركزيا ، يعتمد على وجهة نظرية عسكرية وسياسية منظمة ، وتعتمـــد كفاءته على استقرار الطبقة الحاكمة . ومن الممكن ان يؤدى عدم استقرار قيادة الدولة الى هزات متواصلة ولذا نجد ان المؤسسات الاقتصادية والسياسية لا تستطيع الاستقلال عن بيروقراطية الدولة .

ـــ تعتبر اغلب قطاعات الجبهـــة مناطق حساســـة بسبب الجماعـــات الكردية والشيعية الساخطة هناك .

ـ الاعتمـاد على قروض أجنبية والتمويل الأجنبى للحرب . وخاصـة المساعدات المالية التى تقدمها الدول الخليجية (والتى وصلت فى عام ١٩٨٤ الى ما يقرب من مليار دولار شهريا انظر سلوجيت/ستورت ، ٢٧ ف) وقد انكشفت مواطن ضعف العراق التى غطى عليها بنجاح خططه العسكرية على مدار الحرب ففى عامى ٨٣/١٩٨٤ كان العراق على شفا الانهيار الا ان العـوامل الخارجية فقط هى التى ساعدت على تهدئة الوضع الحرج وأمدت العـراق بالوسائل التى تمكنة من خوض حرب طويلة المدى .

وتظهر النظرة للحرب بدءا من الغزو العـراقى لايران ثم الغزو الايرانى المضاد ثم حرب المواقع الثابتة ، تظهر بجلاء مدى تأثير بعض العوامل الاقليمية والدولية وبخاصة على الصعيد الاقتصادى ــ لتسيير الحرب من الناحية التنظيمية قد اثر ذلك على منع الانهيار الاقتصادى لأى من طرفى الحـرب ، هذا الانهيار الذى يعنى انتهاء الحرب .

فى الأشهر الأولى ، التى تلت اندلاع الحرب ، اصيبت المراكز الحساسة لدى كلا البلدين ، ففى ايران تعطلت أهم معامل تكرير البترول وتعطلت عمليات نقل البترول العراقى عبر الخليج بسبب سيطرة الأسطول البحرى الايرانى . وعانى البلدان من الدمار المؤثر وان كان نصيب ايران أقل من العراق وعملت السياسة الاقتصادية فى كلا البلدين على حسم هذا الأمر بالاضافة الى الاسباب التى سبق ذكرها ، وأملت ايران على شعبها ــ قبل الحرب سياسـة تقشف مدعمة بالحجج الايديولوجية . بينما كان العراق يبث لشـعارات الداعية لزيادة الرخاء والاستهلاك (ستافور عام ١٩٨٥ ، ٤٦ ــ ٣٨) .

وقللت التحالفات الاقليمية من خطر الانهيار الاقتصـادى ، فقد استطاع العـراق استيراد سلعة عبر الأردن والكويت وتلقى معونات مالية ضخمة من الدول الخليجية . واعتمدت ايران على معونات ليبيا وسوريا التى استخدمتها سوريا كوسيلة ضغط لتجميد الدول الخليجية .

وابتداء من خريف سنة ١٩٨٣ تمكن العراق على الأقل نظريا من تجميد صادرات البترول الايرانية . ولكن خطر التصعيد وضع حدا لهذه الامكانية .

وكان بحوزة كل من ايران والعراق الوسائل الكافية لمواصلة الحرب على الرغم من مصاعبهما الاقتصادية الضخمة وخطط العراق لزيادة صادراته النفطية عبر تركيا التى بلغت فى عام ١٩٨٦ مليون ونصف مليون برميل يوميا . وكان العراق يريد ابتداء من نهاية سنة ١٩٨٦ تصدير ثلاثة ملايين برميل يوميا عبر تركيا واسترجاعه للعودة الى مستوى تصدير ما قبل الحرب .

ومن المتوقع أن تساعد هذه الخطط العــراق على الخروج من ضائقته المالية فى الخارج وتخفيف نفوذ الدول الخليجية .

وعلى الجانب الآخــر أعدت ايران نفسها لشــن حرب استنزاف طويلة المدى . واستكملت من خطوط السكك الحديدية عبر الاتحاد السوفيتى وكذا طرق المواصلات مع تركيا . وحظيت الموانى الجديدة فى الجنــوب بأهميــة كبرى . حيث استخدمت كموانى نفطية آمنة نســبيا من الهجمــات العراقية . واضطر العراق للتخلى عن موانيه المطلة على الخليج وخط انابيب بتروله الذى يمر عبر سوريا كما اضطرت ايران للتخلى عن عمليات النقل التجارية فى القطاع الشمالى بالخليج (ستافر ٢٥٠ ف) .

٣/٥ المؤثرات على دول الخليج والمنطقة

بما أن الحرب بين العــراق وايران كانت نتيجــة للصراعات الاقليمية ، لذا أثرت هذه الحرب على الصراعات الاقليمية الأخرى حيث كانت دول الخليج مهددة بشكل مباشر بامتداد الحرب اليها .

وصارت الحرب أهم عامل فى السياســة والتحالفات الاقليميــة لطرفى الصراع ، وأصبح العراق يعتمد على مساعدة دول الخليج ولذا اضطر لاخفاء طابع محافظ ومعتدل على سياسته الاقليمية . ومن ناحية أخرى أدت الحرب الى عــزلة ايــران فى المنطقة وزيــادة التوتر مع الدول الخليجية . وأصبحت العلاقات مع الدول العربية محدودة باستثناء التحالف مع سوريا وليبيا ، والى حد ما مع اليمن الجنوبى والجزائر .

وكان انشاء مجلس التعاون الخليجى من الكويت والسعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وعمان فى فبراير سنة ١٩٨١ بمثابة رد فعــل مباشر على حرب الخليج وكانت أهدافه اقتصادية فى البداية لتوحيــد مواقف أعضائه داخل الأوبك . ولكنه أخذ يهتم بالمصالح العسكرية والأمنية مع تفاقم الوضع فى فبراير ســنة ١٩٨٣ وفى عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ نوقشت الخــطط الامنية للخليج وكذا تسليح الدول الخليجية واجراء مناورات مشتركة (أنظــر أيوبى / خيلى ١٩٨٣ ص ١٦٢ ــ ١٦٦ أنظر باسيين ، سنة ١٩٨١ ص ٨٤) وكانت بريطانيا قد فكرت فى عام ١٩٧١/٧٠ ، بعد حصول هذه الــدول على استقلاليا فى انشاء مجلس مشترك لملء الفراغ الذى حدث بعد خروجها (أنظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٨) ولكن حالت الخلافات بين ايران والعراق وخــوف الدول الخليجية من أطماع الهيمنة لهذين البلدين دون تنفيذ هذه الفكرة . وتم انشاء هذا المجلس فى عام ١٩٨١ بدون العراق وايران تحت ضغط الحــرب المتصاعدة .

ووقف مجلس التعاون الخليجى الى جانب العراق بسبب الدواعى التى أدت الى قيامه والواردة بالفصلين ٣ ، ٤ . وشجع طول أمد الحرب وعــدم وجود أمل فى حلها وأخطار التصعيد فى الخليج ، المساعى المبذولة لانهــاء الصراع ، أو لحصره على الاقل فى العمليات البرية وانفتح المجلس الخليجى بقدر معين على ــ ايران ، فلم يكن الخطر على الدول الخليجية يأت فقط من جانب ايران ففضــلا عن حوادث الاغتيال والتدمير التى كانت تقــوم فيهــا الجماعات الموالية لايران فى دول الخليج حدثت استفزازات مشابهة من جانب العراق تنسف أى تقارب بين دول الخليج وايران ولذا هاجم العراق وايران

ناقلات البترول التابعة لدول الخليج فى حرب الناقلات (انظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ١٣) .

ويعد تحييد مجلس التعاون الخليجى وتطبيع العلاقات بين الدول الخليجية وايران انتكاسة وضربة قاصمة للعراق . ولم تصدر فى هذا الصدد بيانات ضمان ايرانية بعدم التدخل فى دول الخليج . ويلاحظ فى ايران وجود اتجاهات لتطبيع العلاقات عن طريق الوساطة السورية ، ولكن هدد هذا الاتجاه الخوف من عودة ايران لموقفها التقليدى كحامية فى الخليج .

وكان أمن دول الخليج موضع نقاش فى الدول الكبرى — وخاصة فى أمريكا وعلى الرغم من الاختلافات فى الرأى داخل مجلس التعاون الخليجى نجد أنه يرفض أى تواجد مباشر للولايات المتحدة حيث أن ذلك لن يؤدى فقط الى تأرجح الصراعات بين الدول الكبرى بل سيؤدى أيضا الى تزايد الخطر الذى تتعرض له الأنظمة الحاكمة هناك من جانب القوى الثورية بسبب زيادة الروح المعادية لامريكا فى المنطقة . ولذا سعى مجلس التعاون الخليجى الى تأمين الخليج عن طريق النشاطات الدبلوماسية (انظر ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ١١٣ وانظر دواشه سنة ١٩٨١ ص ٥٩١) ويمكن تصدير الآثار والنتائج العامة لحرب الخليج على الشرق الاوسط والسياسة العربية كما يلى : —

أ — صعود نجم سوريا فى العالم العربى

تستهدف سوريا من وراء قيامها بدور الوساطة بين ايران ودول الخليج عزل العراق وضمان امن دول الخليج . وأدت الحرب الى القضاء على المنافسة بين العراق وسوريا وخاصة فى لبنان حيث تسعى سوريا الى تدعيم نفوذها هناك بمساعدة دول الخليج . وقد تقلص دور العراق فى لبنان بشكل متزايد بسبب الاحداث العسكرية (انظر داوشه سنة ١٩٨١ ص٦١ — ٦٥) .

ب — عودة مصر الى السياسة العربية

فرض العراق ، الذى استضاف القمة العربية المعادية لمصر فى سنة ١٩٧٨ فى بغداد ، مع دول الخليج عودة مصر الى منظمة الدول الاسلامية والجامعة العربية . ويهدف العراق من وراء ذلك تقوية العمود الفقرى للعالم العربى . وقد تم على الرغم من معارضة سوريا وليبيا — رد اعتبار مصر جزئيا وتحسنت علاقات مصر مع الجزائر وتونس حتى أن أى تعاون عسكرى يمكن أن يؤدى الى اعلان قيام حلف جديد ، ولعل من الدلائل والشواهد الأخرى على تطبيع دور مصر داخل العالم العربى دعم مصر للعراق وصفقات الاسلحة المصرية لدول الخليج وخاصة الى عمان والتعاون المكثف مع منظمة التحرير .

ج ـ الدور الجديد لتركيا فى العالم العربى

تحولت تركيا الى بلد مرور (ترانزيت) هام لطرفى الحرب وصارت ثانى اهم شريك تجارى لايران بعد اليابان . وفى عام سنة ١٩٨٤ اضطر العراق الى طلب معونة الجيش التركى لقمع المعارضة الكردية فى شمال العراق وادت الحرب والمصالح الاقتصادية لتركيا والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الى ايجاد تقارب معين مع العالم العربى بعد عزلة دامت اعواما ولم يكن هذا التقارب فقط مع السعودية ودول اخرى معتدلة بل مع ليبيا ايضا . ومن غير المستبعد أن يكون هناك دور عسكرى تركى فى حالة تفاقم الحرب مرة أخرى .

وكانت الحرب وما ترتب عليها هى انقسامات وتشرذم فى العالم العربى احدى مقدمات الغزو الاسرائيلى للبنان فى سنة ١٩٨٢ والتى بدونها المكن هذا الغزو ليحدث ونتج عن ذلك ضعف منظمة التحرير الذى كان بدوره نتيجة لنقص التعاون بين الدول العربية .

٤/٥ الدول الكبرى والحرب العراقية ـــ الايرانية

تعهدت الدولتان العظميان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية منذ بدء الحرب باتخاذ موقف الحياد رسميا وان كان ذلك يخالف موقفهما وأخذت الدولتان العظميان تراقبان الموقف عن كثب واستغلتا الحرب لكسب النفوذ لدى الدولتين المتحاربين ، بل لدى المنطقة كلها ، وعدا البيانات المتعارضة لم يمارس البلدان ضغطا كافيـــا للتوصل الى حل ســوى ضمانها لأمن الخليج وسعيهما لمنع توسع رقعة الحرب على المستوى الاقليمى .

ا ـــ الاتحـــاد السوفييتى

اندلعت الحرب فى وقت غـــير مناسب للاستراتيجية الاقليمية السوفيتية التى كانت تستهدف التوصل الى مصالحة بين الحليفتين ســوريا والعـــراق لاجهاض الخطط الامريكية فى الشرق الاوسط . وعلى الرغم مـــن الاختـــلافات الايديولوجية والازمة الافغانية حاول الاتحاد السوفيتى استغلال قضـــية الرهائن لبسط نفوذه فى ايران (يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩١ ـــ ٩٣) .

واتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا محايدا فى المواقف السوفييتية الأولى من الحرب ، وكان يرى أن هذا الحرب لصالح الامبريالية (انظر برجنيف لوكالة نوفوستى فى ١٩٨٠/١٢/١٦) . ولكن الاتحاد السوفييتى وقف فى الواقـــع الى جانب ايران . وخفضت صفقات الاسلحة للعراق الا أن ايران رفضت العروض السوفييتية (انظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩٧ ـــ ٩٩) (وانظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧) . ولم تلق هذه السياسة المحايدة قبـــولا كبـــيرا لا لدى ايران ولا لدى العراق .

وكان العراق يتوقع أن تفى موسكو بالتزاماتها المنصوص عليهـــا فى معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية فى سنة ١٩٧٢ . وأدانت ايـــران التى تعرضت لهجمات الجيش العراقى المزود بأسلحة سوفييتية الموقف المحايـــد ذا الوجهين .

والى جانب البيانات السوفيتية العديدة المؤكدة عـــلى الحياد والداعيـــة للانهاء الفورى للحرب أعلن بريجنيف السكرتير العـــام للحـــزب الشـــيوعى السوفيتى فى ديسمبر سنة ١٩٨٠ مبادرة سلام للشرق الاوسط احتلت حرب الخليج فيهـــا مكانة خاصـــة واقترح بريجنيف على أمريكا وعلى باقى الدول الغربيـــة والصين واليابان وكل الدول المعينة الالتزامات التالية :

ـــ عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية فى الخليج والجزر المجاورة وخطر استخدام اسلحة نووية فى المنطقة .

- عدم التهديد بالعنف أو استخدامه وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول المعنية .

- احترام عدم الانحياز .

- الاعتراف بحق الدول فى استغلال مصادر الطبيعة .

- عدم اعاقة التجارة أو الطرق البحـــرية (أنظر هوبل سنة ١٩٨٢ ص ٤٨ وانظر ياسين سنة ١٩٨١ ص ٨٤ ف) .

وفشلت جهود الاتحاد السوفيتى للسيطرة على ايران وادت الاستفزازات ضد الحزب الشيوعى الايرانى والنشاطات التجسسية والتخريبية للمخـابرات السوفيتية الى احياء توريد الاسلحة للعـــراق (أنظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ١٤٢ — ١٤٤) . ولعل من بين الاسباب الهامة التى دعت الى ذلك تزايد العلاقات التجارية العراقية مع دول غربية وفى مجال قطـــاع السـلاح — وفى مقدمة هذه الدول فرنسا . (حتى عام ١٩٧٢ — كان العراق مجهزا بـ ٩٦٪ من عتاده الحربى بعتاد سوفيتى ، ووصلت هذه النسبة الى الثلثين بعد أربعة أعوام من بدء الحرب) ، (يانسن سنة ١٩٨٤ ص ١٠١ ، انظر كاميل ســنة ١٩٨١ ص ١٣١) وعمـل الهجوم الايرانى المعاكس الناجح وشعار تصـــدير الثورة والبديل الاسلامى لنظام الحكم العراقى على تغيير الموقف الســوفيتى من العراق حيث قوبلت السياسة الايرانية فى هذا الصدد بانتقاد حاد من جانب موسكو .

ولم يحقق الاتحاد السوفيتى نفسه الاستفادة من سياسته حتى لو كان صحيحا تفســير بعض وسائل الاعلام الغـــربية لاطلاق سراح الشيوعيين العراقيين الموالين لموسكو على أنه ثمن لصفقات السلاح (صحيفة ديلى تلجراف فى ١٩٨٣/١١/١٧ ، ١٩٨٣/١١/٢٧) وكل الذى حـــدث هو زيادة اعتماد العـــراق على دول الخليج التى كانت تعـــارض عودة العراق الى معاهدة سنة ١٩٧٢ مع موسكو .

غير أن الحرب فتحت الطريق أمام الســوفيت للوصــــول الى الدول الخليجية والتى لم يكن لهم دور فيهـــا . ولعل ارسال اسلحة سوفيتية ومستشارين عسكريين سوفيت الى الكويت احدى نتائج الحرب بل اخـذت دول الخليج على الرغم من التحفظ التاريخى ازاء الاتحـاد السوفيتى تدعـــو الى التعاون معه من اجل ضمان الامن بشكل عملى وايجاد توازن بين الدول الكبرى . وقد دفع التزايد غير المتوقع فى الاتصـــالات السوفيتية مع الدول الخليجية عبر الكويت (يودفات ١٩٨٣ ، ص ١٣٤ ف (ببعض المراقبـين الغربيين الى الافتراض بأن الاتحاد السوفيتى يمكنه القيام بدور رجل الشرطة الاقليمى (أنظر كاميل ســـنة ١٩٨١ ص ١١٥) . وترى بعض التحليـلات

الغربية لتصاعد الدور السوفيتي فى الشرق الاوسط أن موسكو تتمتع بنفوذ قوى فى المناطق الهامة من الشرق الاوسط كاثيوبيا واليمن الجنوبي وافغانستان. أما موقفه فى منطقة القلب بالشرق الاوسط والخليج فغير مستقر كامبيل سنة ١٩٨١ ص ١١٨ — ١٢٦) .

ولعل من بين الدروس المستفادة من الحرب العراقية الايرانية أن الصراعات المحلية فى منطقة الخليج لن تفتح الباب تلقائيا أمام الاتحاد السوفيتى أو أى دولة اخرى — للقيام من تلقاء نفسها بدور رجل الشرطة فى المنطقة (انظر كامبيل سنة ١٩٨١ ص ١٣٢) .

(ب) الولايات المتحدة الامريكية

على الرغم من أن العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة مع امريكا الا أنه حدث تقارب فى الفترة من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٨٠ بين العراق والدول الغربية ودول الخليج المتحالفة مع الولايات المتحدة الامريكية (انظر مجلة وورلد ماركست ريفيو ، رقم ٨ عدد اغسطس سنة ١٩٧٦) والنظرية والدعاية الايرانيتان تصران على أن العراق بدأ الحرب بتكليف من الولايات المتحدة الامريكية ومما لا شك فيه ان وجود نشاط موجه ضد ايران كان امرا لا يهم امريكا (انظر هيرو عام ١٩٨٤ ص ٧) لان العلاقات الايرانية الامريكية كانت عند بداية الحرب اكثر من سيئة بسبب قضية الرهائن . وكان العراق يضع نصب عينيه على وجه الخصوص مصالحة ومصالح دول الخليج .

اما ضعف ايران مع المصالح الامريكية فهى قضية اخرى حقيقى ان الولايات المتحدة كانت تسعى الى تغيير النظام الايرانى الحاكم ولكنها كانت تتجنب فى نفس الوقت عدم الاستقرار الذىكان من الممكن أن يودى الى انهيار او تقسيم ايران (انظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧ ، وانظر رايت سنة ١٩٨٣ ص ١٨٥ — ١٨٧) حيث كانت أمريكا لا تضع نصب عينيها فقط خلافها مع الاتحاد السوفيتى ، فالمعاهدة السوفيتية الايرانية الموقعة فى عام ١٩٢١ والتى الغتها ايران من جانب واحد كانت وما تزال سارية المفعول بالنسبة للاتحاد السوفيتى وهى تسمح للاتحاد السوفيتى بوضع قوات سوفيتية على الاراضى الايرانية فى حالة تواجد قوات اجنبية فى ايران .

وكان الموقف الرسمى « المحايد » لامريكا فى اكتوبر سنة ١٩٨٠ كما يلى :

نعتقد بانه من الممكن ، بل من الواجب عدم حل هذا الصراع بالقوة المسلحة بل بالوسائل العملية . ودعونا نلجأ الى مبدأ آخر ضرورى لاتخاذ قرار سلمى احل هذا الصراع . انه مبدأ عدم التدخل فى شئون الآخرين (ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ٩١) .

واستغلت أمريكا حرج الموقف العراقى فى الحرب لتطبيع علاقاتها معه فتكثفت العلاقات التجارية ثم استؤنفت العلاقات الدبلوماسية فى سنة ١٩٨٥ ولعل الاهم من ذلك هو زيادة التعاون العراقى مع دول المنطقة الحليفة لامريكا (مصر ودول الخليج) وموقف بغداد المعتدل فى الصراع العربى الاسرائيلى . ويمكن اعتبار صفقات الاسلحة من جانب بعض حلفاء أمريكا لايران (مثل اسرائيل وباكستان وكوريا الجنوبية ... الخ) على انه تعبير عن مساع أمريكية لتأمين الكيان الايرانى . وعموما كانت أمريكا تتخذ فى حرب الخليج — وخاصة الحرب الهجومية الايرانية تتخذ موقفا واضحا معاديا لايران .

ففى عهد كارتر قدمت أمريكا للسعودية طائرات الأواكس المتقدمة والتى كانت تقوم بامداد العراق بالمعلومات وفى عام ١٩٨٤/٨٣ شكلت الولايات المتحدة قمة انتدخل السريع أى غزو الخليج (ستارك / ونجر سنة ١٩٨٤ س ٤٤— ٤٦) وعبر وزير الخارجية الامريكى عن الموقف المحايد لبلاده بقوله : « ان الحياد على أية حال لا يعنى ألا نكترث بالنتائج . ولدينا أصدقاء ومصالح تتعرض للخطر نتيجة لاستمرار الاعتداءات . ونحن ملتزمون بالدفاع عن مصالحنا الحيوية فى المنطقة . وهذه المصالح ومصالح العالم تحترمها السيادة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل الدول فى منطقة الخليج .

وتعد حرب الناقلات والتهديد الايرانى باغلاق مضيق هرمز وماتلا ذلك من تهديد أمريكى بالتدخل العسكرى شروطا موضوعية لمثل هذا التدخل . ولكن كان هناك شك من الوجهة العسكرية فى مدى فعالية مثل هذه العمليات خاصة ان فشل القوات الامريكية فى لبنان وفشل الوحدات الامريكية التى ارسلت الى ايران لتحرير الرهائن كانت له نتائج معنوية ضخمة وربما كان هذا الفشل مثالا تحذيريا غير أن القيام بعمل عسكرى ضد ايران اصبح أمرا غير محدود . وكان موقف مجلس التعاون الخليجى الذى أدان مثل هذه الخطوة بوصفها تصعيدا مباشرا للحرب فى المنطقة عاملا حاسما (أنظر ستارك/ ونجر سنة ١٩٨٤ ص ٤٧ ف) .

واستطاعت الولايات المتحدة ، شأنها شأن الاتحاد السوفيتى تدعيم موقفها فى الشرق الاوسط أثناء الحرب (رايت سنة ١٩٨٢ ص ١٨٨) ، لقد جرت العادة على أن تضمن الصراعات الاقليمية — للدول الكبرى مناطق للنفوذ ، غير ان سياسة الدول الكبرى فى هذه المنطقة المعقدة أصبحت عاملا فقد أهميته مع مرور الوقت : فالدول الكبرى لم تعد ترغب فى التورط فى الصراعات الاقليمية ولا هى تستطيع تحديد مسارها الا بقدر ضئيل .

٥/٥ النتــائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى

اتخذت أوربا الغربية واليابان موقفا محايدا منذ اندلاع الحرب واعربت عن رغبتهما فى نهاية سريعة للحرب . وكانت هذه الدول تكسب من هذه الطفرة التى تحققت من علاقاتها التجارية مع طرفى الحرب واتخذت بقية دول غرب اوربا باستثناء فرنسا التى كانت لها علاقة خاصة بالعراق بفضل صفقات الاسلحة موقفا محايدا . وتكثفت علاقات ايران التجارية مع بريطانيا وايطاليا والمانيا الاتحادية وبعد المشاركة الجزئية فى العقوبات التى فرضتها امريكا أثناء قضية الرهائن وللابقاء على السوق الايرانية مفتوحة سعت فرنسا لتطبيع علاقاتها مع ايران (انظر صحف ٣ فى رقم ١٢٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، اف ٢٨).

وكانت تجارة الأسلحة غير الرسمية على جانب كبير من الأهمية حيث كانت ايـران والعراق تنفق أكثر من ثلث ميزانيتها العامة على التسليح (انظر صحف ٪ ٣ فى رقم ١٢٨ سبتمبر سنة ١٩٨٥ ص — ٣ — ٥) ودخلت عدة دول اوربية بشكل مكثف فى هذا المجال حتى ولو تعارض ذلك مع القانون فصدرت المانيا الاتحادية أسلحة الى العراق وابرمت فى نفس الوقت صفقات غير قانونية مع ايران واستغلت تورطها المتزايد لاستكمال التعاون الالمانى المصرى فى مجال التسليح (انظر أوراق ٪ ٣ فى ١٢٠ ص ٨١ ف) وقامت النمسا بتصدير مدفعية ثقيلة من نوع الهاوتزر عبر الأردن بشكل غير رسمى (الكتاب السنوى سيبرى سنة ١٩٨٤) .

وتزايد اعتماد كلا البلدين المتحاربين على غربى أوربا واليابان ، فقد قاموا بدور هام فى اعادة بناء الانظمة الاقتصادية التى حاق بها التدمير . وهكذا اتاحت الحرب فرصة لقاعدة من الارتباطات الجديدة فى زمن السلم واستفادت دول أخـرى مثل البرازيل . وكوريا الشمالية والصين بشكل مباشر او غير مباشر من تجارة السلاح (انظر الجداول فى ملحق بآخر الكتاب) ولذلك كان الاعتماد الكلى لطرفى الحرب على أمريكا والاتحاد السوفيتى نسبيا ومحددا كما تورطت اسرائيل فى تجارة الاسلحة مع ايران (فرانكفورتر الجماينة فى ٨٧/٣/١٧) واخفض الموقف الاسرائيلى الشرعية على نفسه بموافقة الولايات المتحدة على ذلك (هيرو سنة ١٨٨٤ ص ٧) وان كانت المصالح الاقليمية هى التى كان لها الدور الحاسم فى هذاالموضوع (فايتسمان ومقابلته مع مجلة نيوزويك فى ١٩٨٠/١٢/١٥) .

وهكذا شلت الحرب قوى وطاقات بلدين هامين من بلاد العالم الاسلامى والعربى لم يعودا — رغم كل الشعارات — قادرين على خوض حرب ضد اسرائيل . ولذا كانت مصلحة اسرائيل فى استمرار حرب الخليج وليس فى انهيار اى من البلدين ولا يمكن اعتبار السياسة الاسرائيلية بمثابة بيان تعاطف مع احد طرفى الحرب اللذين يعتبران اساسا من اعداء اسرائيل ، بل يمكن اعتبارها جزءا من المفهوم الامنى الاسرائيلى الشامل طويل المدى . وفى اطار هذه الاستراتيجية ويمكن تفسير صفقات الأسلحة وكذلك قصف المركز النووى العراقى .

٦ — الحرب والتركيب (الفسيفسائى) : — هل هى، قضية تفكك أو اعـادة بنـاء ؟

بالنسبة للبعد العراقى والدينى للحـرب

هناك ارتباط وثيق بين الابعاد الثنائية والاقليمية والدولية للصراع وبين التركيب الفسيسفائى للمنطقة . وكلتا الدولتين تضمان جماعات عرقية دينية ومذهبية لم تندمج تماما فى الدولة الحديثة . وتبدو المتناقضات الناتجة عن هذه التركيبة المعقدة أكثر وضوحا فى الصراعات الثنائية وتدويلها . وأصبحت بذلك اكثر تاثيرا . وتسربت المتناقضات الداخلية فى كل من العراق وايران الى قيادة الحرب وتخطيطها حتى وان لم تتفق التقديرات الرسمية فى أغلب الاحوال مع العمليات . وسنحاول فيما يلى مناقشة هذه الاشكالية بشكل عام ، وفى النهاية سنقدم ظواهر مطابقة فى كل من العراق وايران .

٦ — ١ الاشـــكالية

يبدو أن الدول التى نشأت بعد الحرب العالمية الاولى فى الشرق الاوسط قد حظيت فى وعينا باهمية كبرى اكبر مما تستحق فى الواقع . فالدول الحديثة التى نشأت على غرار النموذج الغربى فى الشرق لا تتفق مع التطور العرقى والطابع الدينى او القومى ، فالعراق وايران دول متعددة القوميات والمذاهب ولا يعتبر تركيبهما السياسى متعـددا أو ديمقراطيـا وتضعف المتناقضـات الاستقرار الداخلى للبلاد ، كما أنها تمثل مشكلة اضافيـة فى حالة أى صراع اقليمى مع الدول المجاورة (مثل مساندة الاكراد فى دولة أخـرى) كما يعتبر الاسلام ظاهرة اساسية . لا تعترف ، بالحـدود الحالية ويتناقض مع التركيب الحالى للدول التى لم تستقر بعد .

لقد قام نظام الدولة الاسلامية ، الذى كانت تمثله الامبراطورية العثمانية باوسع معانى الكلمة ، على فكرة الامة الاسلامية • ونظمت العلاقات المتناقضة للاقليات الدينية والعرقية داخل هذه الامة من خلال النظام المالى وقدر كبير من الحكم الذاتى نسبيا للمناطق التابعة لها • ولكن التوجهات المركزية للامبراطورية العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والرغبة فى اقامة دولة قومية على النموذج العربى أدت الى تفاقم مشكلتى الاقليات والقومية فى المرحلة الاخيرة من الامبراطورية العثمانية (قارن شيفلر ص ٤٩ ف) .

ولم تؤسس الدول التى قامت بعد الحرب العالمية الاولى نظامها على ، فكرة الامة الاسلامية ، ولذا لم يكن هناك ذلك النظام القائم على أساس الوحدة الدينية او العرقية او المذهبية . وانقسمت الأمة العربية الى أكثر من عشرين دولة حديثة

وانشطر الشعب الكردى الى خمس دول . وما يزال يقيم فى العراق وايران ، حيث يعيش العرب جنبا الى جنب مع الاكراد وعدد من الاقليات الاخرى · ويعيش البلوش فى ايران وافغانستان وأيضا فى باكســـتان كما يعيش الاذربيجانيون والتركمانيون فى ايران والاتحاد السوفيتى · ويستقر الارمن واقليات مسيحية اخرى فى هاتين الدولتين ·

وخلقت الدولة الحديثة انتماءات جديدة صناعية ، فالشعب الايرانى أو الامة الايرانية مصطلحات لا يصل عمرها الى ستين عاما . والواقع أن مشاعر الانتماء قد تمت لدى الشعوب بعد مرور ستين عاما على وجود هذه الدول ولكن لم تمنح السمات العرقية والدينية التقليدية ·

ولم يكن النفوذ الثقافى القوى لاوربا يعنى اغترابا وتزويرا لوعى الشعوب الشرقية فقط بل أدت المفاهيم السياسية المرتبطة به (كالشعب والأمة) الى نشر البلبلة وعدم الوضوح ، فالدستور العراقى ينص مثلا على أن الشعب العراقى يتكون من قوميتين (مادة ٣) وفى فقرة اخرى (مادة ٢) توجد الجملة التالية :ـ العراق جزء من الامة العربية . وهذا التعارض والتناقض ليس فقط مشكلة دلالة بل يثير البلبلة فى الوعى السياسى (انظر فانلى سنة ١٩٨٤ ص ٢٨١ ، انظـر ابراهيم عام ١٩٨٢ ص ٢٨٢ ف) .

ويتعارض المفهوم السياسى للقومية الكردية ، الرامية الى توحيد الشعب الكردى فى دولة كردية قومية ، مع الانتماء للشعب العراقى · ويمكن تقييم قضية التوحيد من منظور اخر على أنها انفصال عن وخروج على الوطن العراقى والدولة العراقية ايضا ·

وصف الملك فيصل الاول اول ملك هاشمى حكم العراق الحديث هذه الاشكالية فى مذكرة كتبها سنة ١٩٣٢ بقوله :ـ

« لا يوجد فى العراق ـ وهذا ما أقوله وقلبى مفعم بالاسى ـ عراقيين بل اعداد لا يمكن تخيلها من البشر مجردة من أية فكرة وطنية ومتشربة بالتقاليد الدينية والافكار السخيفة ولا يربط بينها أى رابطة مشتركة وتصغى الى الشر وتميل الى الفوضى ومستعدة دائما للثورة على أى حكومة ومهما كانت ونريد أن ننتقى شعبا من هذه الاعداد يمكننا تدريبه وتعليمة وتهذيبه وفى حدود الظروف الراهنة يمكننا تخيل مدى ضخامة الجهود المطلوبة لانجاز ذلك » .

وفى الخمسين عاما التى تلت هذه الكلمات جرت محاولة لتحويل هذه الكلمات الى واقع :ـ توطين اجبارى لقبائل البدو الرحل واضطهاد الشـعب الكردى واجباره على الاندماج ومع ذلك تميزت هذه الحقبة بالاصلاحات وآكدت الصراعات أن هذه القضية لم تنته بعد · ولا يجب أن تسير فى نفس هـــذا

الاتجاه وثمة مشكلة أخرى للدول الحديثة تكمن فى مواجهتها مع اتجاهات أقليمية وغير اقليمية قوية مثلما ظهر فى القومية العربية والاسلام والقومية العربية التى تسعى الى توحيد كل العرب فى دولة قومية واحدة لا تتفق مع الحدود القائمة حاليا بين الدول المختلفة كما تشكل الحركة الوطنية الكردية ـ وهدفها البعيد اقامة دولة كردستان الموحدة ـ تهديدا للكيانات غير المتجانسة فى أربع دول ٠

وترفض الصحوة الاسلامية ، التى لا يجب النظر اليها على انها عودة الى الدين فقط بل ايضا ظاهرة سياسية قوية ، بسبب تناقضها الثقافى مع الغرب ترفض هذه الصحوة الحدود القائمة حاليا وتسعى للعودة الى اقامة أمة اسلامية عالمية كبديل عن الدول الموجودة حاليا وعلى الرغم من تعارض الاتجاهات الاسلامية مع القوميات الكردية والعربية نجد أن كليهما يسير فى نفس الاتجاه أى نحو عملية التفتت ٠

وثمة ظاهرة اشكالية تخص تركيبة الدول الحديثة وتتمثل فى الاتجاهات المركزية وما يرتبط بذلك من القضاء على كافة اشكال والاستقلال او الادارة الذاتية ويمثل هذا التناقض بين الاستقلال الذاتى والمركزية واحدا من الجوانب الجوهرية للتناقض بين المركز والهامش فالقبائل والاقليات الوطنية والدينية والعشائر والوحدات الاخرى تدافع عن استقلالها الذاتى نسبيا ازاء الدولة الحديثة التى غالبا ما تكون ظاهرة غريبة تجثم على صدر المجتمع .

ومن خلال الصراعات على السلطة تدافع هذه الجماعات عن استقلالها الذاتى بحماس ضد محاولات الاختراق من جانب جهاز الدولة الذى يحاول استخدامهم كحكام أو متحالفين فى صراعاتهم ٠ وعلى الجانب الآخر تنهج الدولة استراتيجية التفرقة الاجتماعية مثل التقسيم الواعى لجماعات الشعب الى روابط محلية ودينية أو مهنية مستقلة اداريا وتعتبر وحدة مجمعة لاعضائها المتفرقين وتقوم بتبسيط الادارة وتهيىء وتسهل سياسة « فرق تسد » . كما تستخدم مناطق سكنية عرقية ودينية منفصلة لحماية المصالح الذاتية لسكانها ٠ وتؤدى فى نفس الوقت لتقليص الاتصالات اليومية بين مختلف جماعات الشعب الى أدنى حد وبحيث تجنب جهاز الادارة كثيرا من الصراعات التى يصعب السيطرة عليها (جرينسهيلد سنة ١٩٨٠) ٠

وكانت نتيجة ممارسة سياسة التفرقة « النحتية » والفوقية تركيبا فيسفائيا اجتماعيا مكونا من مجموعات محلية ودينية وعرقية (كون سنة ١٩٥١) وصفه البرتحوراضو (١٩٤٧ ص ٢٢) كتعايش مشكوك فيه بين عوالم اجتماعية ثقافية مكتفية ذاتيا متلاسمة ولكنها غير متداخلة (شيلفر سنة ١٩٨٥ ص ٤٩) ٠

٦ / ٢ العلاقة بين المركز والهامش فى ايران

تحت مفهوم مركز لا نفهم فقط العاصــمة كنقطــة التقــاء للدنيــــاه السياسية والثقافية والاقتصادية بل المنطقة التى يوجــد بها اكبر مركــز للشيعة المتحدثين بالفارسية وتتميز المناطق التابعة لها بما يلى :

ـــ تعيش كل الاقليات الوطنية تقريبا فى هذه المناطق .

ـــ هى مناطق يوجــد بها أقلية سنية .

ـــ هى مناطق حــدود حساسة استراتيجيا .

ـــ يضم سكان هذه المناطق فى اغلب الاحـــوال جـــزءا من الاقليــات الموزعة على عدة دول (الاتحـــاد السوفيتى والعراق وافغانستان وباكستان) وتعتبر شعوب هذه المنطقة خط الحـــدود الذى قسم الاقليات نتاجا لظـروف سياسية وموازين القوى تعتبر هذه الشعوب ظاهرة مصطنعة .

وتعرضت الامبراطورية الفارسية لضغط خارجى مكثف فى القرن الــذى سبق اندلاع الحرب العالمية الاولـــى ، وتميز بالتنافس الروسى البريطانى . وكان نظام الحكم ضعيفا ومركزيا . وضمن ذلك للمناطق الهامشية التمتــع باستقلال ذاتى نسبى ومع ارتقــاء أسرة بهلوى للعرش فى ايران فى العشرينات من هذا القرن قامت المركزية التى ضمت فيها بعــد مناطق الحكم فى خوزستان وكردستان التى كانت مستقلة نسبيا . وراح ضحية لعملية التوطين الاجبارية لقبائل البـــدو الرحل فى كردستان الايرانيـــة وحـــدها ـــ راح آلاف الضحايا فى فترة ما بين الحربين العالميتين (انظر لامبتون ســـنة ١٩٥٣ ص ٣٢٦) أنظر قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ١٥١ ف) .

وأدت سياسة التوطين فضلا عن ذلك الى حدوث تغييرات على المستوى الاقتصادى والاجتماعى فتحطمت الحياة الجماعية للنظام القبلى القـــديم وحل محلهـــا نظام الدولة الحديثة . وعلى مستوى آخر قضى على تعدد الشخصية الشعوبية فى ايران وحاولت الدولة فرض الانتمـــاء لقوميـــة ايرانية جـــديدة مصطنعة .

وثمة بعد آخر لهذا التكوين الفيسفائى وهو العلاقة بين الداخل والخارج ومما برز فى التحليل الوارد بعاليه حـــول المنـــاطق الهامشية نجـــد أن هـــذه المناطق تشكل ارضية صالحة للضغط السياسى وللغزو العسكرى من الخـــارج أيضا . فقد مارســـت الدول العظمى ـــ وفى مقدمتهـــا روســـيا ـــ الاتحـــاد السوفيتى فيما بعـــد ـــ نفوذا وضغطا سياسيا على المركـــز عبر هذه المناطق

الهامشية وتعتبر العلاقة بين المناطق الهامشية وأى دول خارجية تعتبر فى نظر السلطة المركزية مؤامرة أو خيانة أو تدخل فى الشئون الداخلية من دول اجنبية كما تعد هذه العلاقة أيضا ذات طبيعة معقدة وتوجد بعض الاقليات والمناطق الهامشية المضطهدة التى تندمج فى الدولة الحديثة بشكل كامل والتى لا تتمتع بعلاقة ديمقراطية مع السلطة المركزية ولا تستطيع كأقلية المطالبة بذلك كما أن مصالحها تكمن فى التعاون التكنيكى مع دول مجاورة . وتعتبر هذه العلاقة علامة مميزة للصراعات السياسية الهامة فى التاريخ الحديث لايران : الثورات فى خوزستان ، وجيلان واذربيجان ١٩٢٠ / ١٩٢١ والثورات فى أذربيجان وكردستان ١٩٤٥ / ١٩٤٦ والتى انشأت جمهوريات محلية بمساعدة الاتحاد السوفيتى . وعند دراسة العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية فى مثال ايران يجب مراعاة الاسس التالية :

(أ) لا تتمتع مفاهيم مثل الاغلبية والاقلية عند النظر الى الجماعات العراقية في ايران الا بأهمية ضئيلة حيث أن الفرس كأكبر جماعة بين الشعب الايرانى لا يشكلون الاغلبية المطلقة . ويمكن أن يؤدى ذلك الى مواجهة بين الفرس واغلبية الجماعات العرقية وادت الصراعات التى حدثت بعد الثورة الاسلامية الناجحة فى بداية عهد الجمهورية الاسلامية بين الحكومة وبين العرب والاكراد والتركمانيين المناضلين من أجل الاستقلال وتوسيع نطاق حق تقرير المصير الثقافى ـــ أدت هذه الصراعات الى مثل هذا الوضع (انظر كدى سنة ١٩٨٣ ص ٨٧ ـــ ٨٩) .

تطبيقا لنظرية الحكام الجدد ولما كانت الجمهورية الجديدة ترتكز على الاسلام كانت مساعى الاستقلال الذاتى تعتبر فى نظرهم اتجاهات غريبة مدعمة من الخارج ، ولكن يختفى خلف هذه النظرية الاسلامية عناصر التعصب العنصرى الفارسى وباستثناء الثلاثة الاشهر الاولى من الجمهورية الاسلامية ، التى تولى فيها كردى يدعى « سنجابى » منصب وزير الخارجية ، فلم تتضمن الحكومات التالية أى عضو من أصل كردى أو عربى أو بلوشى أو تركمانى .

(ب) بالنسبة للعلاقة بين المناطق الهامشية والمركز لم تلعب فقط مشكلة الاقلية وحدها دورا بارزا ، بل أيضا قضية الانتماء المذهبى . فالأذربيجانيون يشكلون أكبر قومية عرقية بعد الفرس ويتمتعون بوضع مميز كشيعة فى مواجهات الجماعات العرقية الاخرى . ويشغلون مناصب هامة فى الاقتصاد الايرانى والجيش وبعض المؤسسات المدنية . وكما كان الانتماء العرقى يشكل عاملا للتناقض بين المركز والمناطق الهامشية وجد الانتماء العرقى نفسه فى مواجهة مع قوة جاذبية المركز . فقد اهتمت كل المطبوعات تقريبا ، وخاصة تلك التى صدرت فى الغرب ـ بالبعد العرقى فقط فى العلاقة بين

المركز والمناطق الهامشية فى الحرب العراقية الايرانية واغفلت اهمية الانتماء المذهبى(١)وبعد الثورة الاسلامية لم يسع الأذربيجانيون للحصول على الاستقلال الذاتى ولم يقوموا بأى عمل مناوىء للسلطة المركزية . ويمكن أن يعزى هذا الموقف من جانب اكبر اقلية عرقية — كانت تمثل فى الماضى خطرا داهما على الحكام الايرانيين لأن جزءاً من هذا الشعب يعيش فى الاتحاد السوفيتى — الى العامل المذهبى .

ويمكن أن يفسر التداخل بين الانتماء لعرق والمذهب ، الى حد ما ، موقف الاقلية العربية فى خوزستان والانتماء الثقافى والعرقى للعرب المقيمين فى خوزستان ادى الى تزايد تضخيم ابتعادهم عن المركز ، من ناحية وأدى من ناحية اخرى الى حقيقة مفادها أنهم بوصفهم شيعه قلبا وقالبا لابد أن يحتفظوا بقدر من الولاء للسلطة المركزية . ولذلك توقفت مقاومة العرب فى خوزستان عند حدود معينة . وتجلت اقوى التناقضات بين المركز والمناطق الهامشية فى تلك المناطق التى تلعب فيها عوامل الانتماء العرقى والمذهبى دورا .

(جـ) يتخذ التطور الاقتصادى الاجتماعى وجها آخر فى العلاقة بين المركز والمناطق الهاشمية منذ أدى التطور الاقتصادى والاجتماعى الى انفجار سكانى فى المدن بسبب الهجرة الواسعة من الريف والى تحول المدن الى مركز للحياة الاقتصادية والثقافية . بينما انخفضت أهمية القطاع الزراعى وسكان الريف بسرعة وكان ٤٪ من اجمالى المشروعات الصناعية يوجد فى كردستان فى عام ١٩٥٨ بينما يشكل الاكراد ١٧٪ من جملة سكان ايران وكان ١٥٪ من الايرانيين حضريين (روث سنة ١٩٧٨ ص ١٠٦ — ١١٠) انظر قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) . وفى عام ١٩٥٨ انتجت كردستان الايرانية ٢٠٪ من اجمالى الانتاج الزراعى الايرانى (قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) .

ولكن التطوير الاجبارى والاصلاح الزراعى الفاشل حولا كردستان الى مستورد للمنتجات الزراعية والى مرتبط ببيروقراطية الدولة التى تعتمد على ايرادات البترول .

وفى خلال عشرين سنة جرت عمليه شارك فى بدايتها قبل خمسة وعشرين عاما غالبية سكان الريف وشارك فى نهايتها غالبية سكان المدن فقد اتضح من مراقبة هذا التحول الاقتصادى والاجتماعى الهام تزايد قوة جاذبية المركز بمعنى اعتماد المناطق الهامشيه على المركز ورافق ذلك — انحسار مقاومه المناطق الهامشية وامكانياتها للحصول على الاستقلال .

---

(١) من أهم الدراسات فى اطار النواحى الدينية والمذهبية هناك كتاب اقبال الصادر فى سنة ١٩٨٥ وكتاب شيفلر الصادر فى سنة ١٩٨٥ .

(د) بمراعاة العوامل الواردة بعاليه يمكننا الوصول الى محصلة مفادها عدم حدوث عملية تفكك وغير متوقع حدوثها فى المستقبل القريب على الرغم من استمرار اهمال المناطق الهامشيه على الرغم من وجود تناقضات بين المركز والمناطق الهامشية بالرغم من مطالب الاستقلال الذاتى . ولم تؤد الحرب العراقيه الايرانية — وحتى فى فترة الغزو العراقى الى حدوث مثل هذه العملية .

ولكن يمكن أن يؤدى ضغط المناطق الهامشية الى حدوث تفكك عن طريق دعم خارجى مكثف وبخاصة من جانب الاتحاد السوفيتى . وتعطى استراتيجيه الجمهوريه الاسلاميه أولويه كبرى لاقامة مركز قوى وهى على وعى كامل بمدى سهوله اختراق المناطق الهامشيه التى يحدها الاتحاد السوفيتى فى الشمال ومناطق النفوذ الامريكى فى الجنوب ولا يوجد فى هذا المخطط سوى الاختيارين انفجار الثورة الاسلامية أو فقدان السلطة فى المركز الذى يتعرض لضغط خارجى قوى . وقد صاغت جريدة الحزب الجمهورى الاسلامى الحاكم هذه الاشكالية على النحو التالى :

— تحتاج ايديولوجية الثورة الاسلامية الى التوسع فى دول أخرى .

— ان سكان العالم المضطهدين بحاجة الى ثورة اسلامية كفكرة تجريبية كما أن ايران بحاجة الى تصدير ثورتها الاسلامية والا اجبرتها ضغوط أجنبية على التحول للداخل والارتداء تدريجيا الى قومية . (ايوبى / قدى سنة ١٩٨٣ ص ١٤٨) .

— ان التكهنات حول تأثير الجمهورية الاسلامية على الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتى التى كانت فيما مضى أجزاء تاريخية من التراث الفارسى لدعم السوفيت لمطلب الاستقلال الذاتى للأقليات القومية فى ايران (اقامة جمهورية المستشارين بجيلان فى عام ١٩٢٠ انشاء الجمهورية الكردية والجمهورية الاذربيجانية بمساندة الجيش الأحمر فى عام ١٩٤٥ وكذلك لتأييد الأخير لمطلب الاستقلال الذاتى للاكراد فى عام ١٩٨٠/٧٩ ان كل ذلك هو سمة العلاقات الايرانية السوفيتية التى تتميز بمحاولات فرض النفوذ وبأهمية كل دولة للاخرى . (انظر قدى سنة ١٩٨٣ ص ٩٩ ، ١٠٦ ف) .

٣/٦ الشـيعة والاكـراد فى العراق الحديث

كان يعيش فى دولة العراق الحديثة التى تأسست فى أوائل العشرينات عديد من الجماعات العرقية والدينية والمذهبية وكان الاكراد يشكلون ١٥ ٪ من اجمالى عدد السكان والمسيحيون ٣٪ والاتراك ٢٪ والفرس وأقليات اخرى ٣٪ واذا كان السكان العرب يشكلون ٧٩٪ من الشعب فان ثقل هذه الاغلبية يصبح نسبيا فى اطار الانتماء المذهبى ، فالسنيون العرب يشكلون ٢٨٪ فقط من اجمالى عدد السكان ، وتصل نسبة الشيعة الى ٤٥٪ (مصلحة الاحصاء العراقى سنة ١٩٨٢) . وهناك احصائيات غير رسمية تصحح هذه البيانات الرسمية وتشير أغلب المصادر الى أن نسبة الاكراد الى اجمالى سكان العراق تبلغ ٢٦٪ (انظر النشرات عدد ١٢١ نوفمبر سنة ١٩٨٤ ص ٢٣) .

وقد اكسبت هذا التضافر المعقد للجماعات العرقية والدينية والمذهبية اهميته من خلال الهيكل المركزى غير الديمقراطى الصارم للدولة العراقية التى يتولى العرب السنيون الحكم فيها . وسنحاول فيما يلى تحليل علاقة جماعتى الشيعة والاكراد ، بمركز السلطة السياسية وذلك نظرا لأهميتهما بالنسبة للصراع بين ايران والعراق .

(أ) الاكـراد

تكونت فى أقليم كردستان العراقى حاليا مملكة كردية مستقلة ذاتيا بعد الحرب العالمية الاولى فى عهد الانتداب البريطانى . ولم تتحقق مساعى الساسة الاكراد لاقامة الدولة الكردية المستقلة التى تم النص عليها فى معاهدة سيفرز « سنة ١٩٢٠ . ثم أطاح الجيش البريطانى فى سنة ١٩٢٤ بالملكة الكردية الصغيرة التى كان يحكمها الشيخ محمود . وعهد الى عصبة الامم تقرير مستقبل جنوبى كردستان (كردستان العراقية حاليا) (١) .

وعلى الرغم من مقاطعة غالبية الاكراد فى هذه المنطقة للاستفتاء الذى نظمته عصبة الأمم أو اتخاذهم موقف سلبيا منه ضمت هذه المنطقة العراق فى سنة ١٩٢٥ (قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ٨٠ ـ ٨٩) . ووعدت العراق وبريطانيا ـ التى كانت الدولة المنتدبة حتى سنة ١٩٣٢ ـ بمنح الاكراد حقوقا ثقافية وحكما ذاتيا اداريا . وتعود جذور الخلافات الأخيرة بين الاكراد والسلطة

---

(٢) انظر عصبة الامم ، مسألة المواجهة بين تركيا والعراق ، جنيف ١٩٢٥ ص ٤١ ـ ٤٦

المركزية فى العراق الى هذه القرينة التاريخية على الرغم من أن وضع الاكراد فى العراق أفضل نسبيا عن مثيله فى الدول الاخرى .

ويتميز التاريخ الحديث للعراق بمقاومة الاكراد ومساعيهم لحق تقدير المصير الثقافى والاستقلال الذاتى وكذلك المطالبة بالمشاركة فى السلطة السياسية وبعد الثورة العراقية فى سنة ١٩٥٨ ظهرت حركة المقاومة الكردية فى الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٥ وتم حصول الاكراد على حقوق ثقافية معينة وكذلك مشاركتهم فى السياسة . وسجلت المفاوضات التى جرت بين قادة حركات المقاومة الكردية والحكومة فى أعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ و ١٩٧٠ وكذلك البيانات الحكومية الرسمية الاضرار التى لحقت بالمناطق الكردية على المستويين الثقافى والسياسى وبالنسبة لبرنامج الانماء الاقتصادى .

وتحولت الحركة الكردية الوطنية فى خلال ربع القرن الماضى الى عامل سياسى هام يستطيع الضغط على الحكومة المركزية وتأكد من احداث تغييرات فى مركز السلطة وتغيير السلطة واعادة تشكيل الحكومة أكثر من مرة وليس الاكراد فى وضع يؤهلهم للاستيلاء على السلطة فى الدولة ونظرا لدورهم كأقلية عرقية — تستوطن الطرف الشمالى من الدولة . وعموما يعد الاكراد عاملا يمكن أن يضغط على المركز ويهز استقرار البلاد . وتعتبر هذه الاشكالية مؤثرة على العلاقات الاقليمية والدولية للحركة الوطنية الكردية . ولم يحصل الاكراد على مساعدة الدول المجاورة والدول الكبرى فقط بسبب مطالبهم السياسية الواقعية بل بسبب الرغبة فى اهتزاز العراق ونظام حكمه بهدف الاطاحة أو على الأقل تغيير اتجاه الحكومة المركزية . وأبلغ مثال على ذلك هو دعم ايران والسياسة الامريكية والسوفيتية للاكراد .

هذا ، ويمكن للحركة الوطنية الكردية ، وهى التيار الرئيسى بين الشعب الكردى وقد سيطرت عدة مرات خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة على مناطق يقطنها حوالى مليون شخص وكان لديها جيش يزيد عدد أفراده على مائة الف — يمكن لهذه الحركة الوطنية الكردية أن تنفصل عن الصراع بين المركز والمناطق الهامشية وسط ظروف أقليمية ودولية محددة لتلعب دورا أقليميا هاما .
وساعد ظهور قوى محلية فى المنطقة والصراعات العرقية والمذهبية بما لها من بعد دولى ، على تكون عامل قوة ساسية جديدة مثل الدروز فى لبنان ومن الممكن تكرار مثل هذه العمليات فى حالة تصعيد الصراع مع ايران .

وتنتمى الحركة الوطنية الكردية المسلحة فى أغلب الاحوال وتسيطر وبشكل خاص فى العراق وايران على مناطق تطالب باحقيتها فيها باعتبارها مناطق محررة — تنتمى الحركة الوطنية الكردية الى أهم الظواهر الجديدة فى هذا البناء — الفسيفسائى — لتركيبة القوى السياسية بالمنطقة لأنها تشكل مركز قوة ، وتحكم مناطق صغيرة وتلعب عن طريقها دورا فى العلاقات والصراعات الأقليمية . وتدخل

هذه الحركة فى تحالفات مع قوى اقليمية ودولية وتحصل بذلك على ما يشبه كيان الدولة وكانت الانتفاضة الكردية بزعامة البرزانى فى عام ١٩٧٤ ، وبالنسبة للمناطق المحررة وعدد القوات المسلحة ــ أكبر من انتفاضة جمهورية مهاباد التى كان يساندها الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤٦ . ولكن حالت ظروف دولية غير مناسبة دون انشاء كيان دولتهم .

ويلعب اكراد العراق وايران فى حرب الخليج دورا ليس بالقليل ولم تنجح كل من العراق وايران الا بشكل ضئيل فى جذب الأقلية الكردية فى البلد الآخر الى استراتيجيتها ، ويعود السبب الرئيسى فى ذلك الى أن الاتجاه الريفى يميل الى الشخصية القومية وفى ايران لم تؤد الافكار الاسلامية للجمهورية الجديدة عن القومية الى حل مشكلة الاقليات . كما أن الثورة الاسلامية لا تشكل بديلا سياسيا للاكراد المقيمين فى العراق . ولذا لم يحدث أى حدث بشكل فردى ــ تعاون بين التنظيمات الكردية المعادية والانظمة الحاكمة فى العراق وايران .

وشكلت الحركة الوطنية الكردية مركز قوة مستقلا عن نفوذ الانظمة تزايدت أهميته مع تنامى عدم الاستقرار . ولن يحدث تغير كما فى الوضع بتصعيد أن الصراع الاقليمى او بمعنى آخر بتدخل الدول العظمى . ويرى خبير استراتيجى حدوث مثل هذا التطور فى ضوء سياسة دولة كبرى كالاتحاد السوفيتى فى الشرقين الأدنى والاوسط ، ويمكن القول بأن ما قاله يرتكز على رؤية مؤيدة للغرب بشكل واضح .

كانت السياسة الامريكية العامة فى منطقة الشرق الاوسط تسعى الى الحفاظ على استقرار هذه المنطقة وأمن حدودها القومية وابعاد النفوذ السوفيتى . أما عن سياسة الجانب السوفيتى الآخر فهى تهدف الى عدم الاستقرار ، والبلقنة واعادة ترتيب الحدود القوية وطرد النفوذ الامريكى وحرمان الغرب من بترول الشرق الاوسط . وحل السوفيت بنجاح الى حد ما كسب السيطرة على مختلف الجماعات الكردية التى تضم الكثير من الشيوعيين الذين تم تدريب الكثير منهم او تلقوا تعليمهم فى الاتحاد السوفيتى. وقد يصبح الاكراد أداة مناسبة فى التأثير على مجريات الامور .

وعلى أية حال اتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا محايدا فى حرب الخليج وتوقف ظاهريا عن توريد الاسلحة المتعاقد عليها وقطع الغيار والذخيرة للعراق . ومع ذلك لا تتوقف أبدا المصانع السياسية للسوفيت وأهدافها طويلة المدى ولذلك ربما تظهر قريبا صواريخ سام ــ ٧ السوفيتية او المدافع المضادة للطائرات طراز زد اس يو ٢٣ ــ ٤ فى أيدى الاكراد . وتعتمد الكثير من الامور على احتمال تدخل أمريكا بشكل أو بآخر فى حرب الخليج أو عدم تدخلها . ويبدو ان القوتين العظميين تنتظران كيفية وقوع جولة ثانية من حرب الخليج قبل أن تلتزم كلتا القوتين بالتدخل . واذا تدخلت احدى القوتين او كلتاهما فان عامل الاكراد سيكون له أهمية كبيرة (أو بلانس الصادر فى سنة ١٩٨١ ص ٢٠) .

(ب) الشـــيعة

يمثل الشيعة نصف سكان العراق تقريبا حيث تصل نسبتهم الى ٤٥٪ . وبعد أن لعبوا دورا حاسما فى حرب الاستقلال ضد البريطانيين وانحسر نفوذهم على السلطة السياسية ووضعهم السياسى (النفيسى سنة ١٩٧٣ ص ١٣٠ الى ١٣٩ وص ١٦١ حتى ١٦٦) أما اليوم فلا يتفق دورهم فى الدولة ووضعهم على قمة الدولة وفى المؤسسات المدنية والعسكرية ، مع نسبتهم الى اجمالى عـــدد الســـكان .

يضاف الى ذلك ظاهرة اجتماعية أخـــرى فالمناطق التى تقطنهـــا أغلبية شيعية فى الجنوب والجنوب الغربى للعراق أكثر فقرا بشكل نسبى واهملتهـــا الحكومة فى اطار برنامج التعمير والتنمية بالمقارنة بمناطق أخرى .

وقد حدث فى التاريخ القريب للعراق مشاركة رمزية للاكراد والعــــرب الشيعة ــ على الاقل ــ فى الحكم (كما حدث فى سنة ١٩٥٨ عنـــد تشـــكيل مجلس الرئاسة الثلاثى الذى كان يضم عضوا سنيا وشيعيا وكرديا) الا أنه تم التخلى عن هذه المشاركة فيما بعد . ولعل ابلغ مثال على ذلك هو الشيعة فى حـــزب البعث .

فقد تراجع نصيب الشيعة فى قيادة الحزب بعد استيلاء الحـــزب على السلطة وهبط الى الصفر . ولدى تولى الحزب السلطة لاول مرة فى عام ١٩٦٣ انخفض عدد الشيعة فى مناصب الحزب العليا . وحصل الشيعـــة على ٢٧٪ من المناصب الحزبية فى المجلس الوطنى للقيـــادة الثوريـــة ــ وهو أعلى ســـلطة سياسية ــ فى الفترة من فبراير حتى نوفمبر سنة ١٩٦٣ بينما احتفظ العـــرب السنييون ــ ٦٧٪ ، مع ملاحظة أن نسبتهم الى سكان العراق تصل الى ٢٨٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٠٨) .

وشغل العرب السنييون ٩٣٪ من المناصب القيادية فى المجلس الثورى خلال الفترة من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٧ ، ولم يكن هناك أى فـــرد من طائفة الشيعة العرب . وفى كل الفترات كان نصيب الاكراد العرب (السنيين) من هذه المناصب بنسبة ما بين ٥٪ الى ٦٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٩٠) .

وهناك سبب آخر لاهمال الشيعيين ويتمثل فى الموقف الرافض لعلماء الدين الشيعة لظاهرة الدولة الحديثة وعمليات التحديث والتعليم والنظام المـــدرسى ويعود هذا الموقف الرافض الى الامبراطورية العثمانية ولكن ذلك ليس سببا كافيا لاهمال الشيعة فى الحياة العامة والسياسية ولا يمكن أن يكون مبررا لحق الاحتكار من جانب السنيين (النفيسى سنة ١٩٧٣ ــ ص ٤٨ ــ ٥٠) .

وبصرف النظر عن المستوى السياسى كانت المؤسسة الدينية والمدارس الدينية فى مدينة النجف الشيعية المقدسة مركزا دينيا وثقافيا مستقلا نسبيا تمتد

قوته الاشعاعية الى ما وراء حدود العراق وكان عدد رجال الدين الشيعيين وكذا نفوذهم أقل جوهريا بالمقارنة بايران . وتحتل اهم واكبر مدرسة فى النجف بالنسبة للشيعة نفس المرتبة تقريبا التى تحتلها جامعة الازهر بالقاهرة بالنسبة للسنيين . وكان بين الالفى الطالب الذين كانت تضمهم تلك المدرسة الشيعية فى عام ١٩٥٧ حوالى ٨٩٦ من ايران ، و ٣٢٦ فقط من العراق ، ٤٢٤ من باكستان ، ٢٧٠ من التبت ، ٤٧ من لبنان و ٢٠ من البحرين والسعودية (النفيسى سنة ١٩٧٣ ص ٥٠) ويتعرض هذا المركز الدينى والثقافى دائما لضغوط من جانب الحكومة العراقية فقيد النفوذ السياسى لرجال المذهب الشيعى ، وانخفضت قدرتهم المالية . لتخفض عوائد الاوقاف (بطاتو سنة ١٩٨٢ ص ٢) . وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران وما تلا ذلك من موجة استفزازية ضد الشيعة فى العراق خلال عامى ١٩٨٠/٧٩ تخلت النجف عن دورها كمركز دينى وثقافى لتضطلع به ايران .

كان الشيعة دائما جزءا من قاعدة الجماعات المعارضة فى العراق . وفى عام ١٩٥٩ تأسست أول منظمة شيعية دينية . وكان تأسيس حزب الدعوة ردا على الموجة الشيوعية فى العراق ولكنه لم يتورط فى اى صدام جاد مع نظام الحكم (انظر النشرة العدد ١٢١ سنة ١٩٨٤ ص ٢١ ، انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) .

ولم يؤثر نفى الخمينى فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٨ فى النجف على الحركة الشيعية وحزب الدعوة . وكان محمد باقر الصدر شخصية شيعية فى السبعينيات بالعراق وتعد كتاباته حول الفلسفة والاقتصاد الاسلامى وحول الشئون المصرفية والنظام السياسى من اهم الدراسات الاكاديمية فى العالم الاسلامى (بطاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) . وتنبأ عديد من المراقبين قيامه بدور مشابه لدور الخمينى بعد عام ١٩٧٩ الا أن اعدامه مع شقيقته فى ١٩ ابريل سنة ١٩٨٠ كان بمثابة قطيعة بين النظام والشيعة التى فقدت شخصيتها القيادية ولم تتحمل هذه الخسارة مما ادى الى ضعف الحركة الشيعية فى العراق .

وشن حزب الدعوة والمجاهدون وحزب أمل حربا سرية يائسة فى الاعوام الماضية ضد الحكومة (انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) . وادت العمليات القمعية الى نقل قواعد هذا النضال الى ايران ، والى صفوف المنفيين العراقيين . ويعمل مجلس الثورة الاسلامى فى العراق — والذى يضم كل المنظمات الشيعة — من ايران ، ويضم ٥٠٠٠ مقاتل تقريبا يحاربون مع وحدات ايرانية ضد العراق . وقد ادى اعتمادهم على ايران وانفصالهم عن باقى العناصر المعارضة من تقليل فرصتهم فى أن يكونوا به بديلا للنظام العراقى الحاكم ويعتبر من قبيل التصورات الخاطئة اعتماد الشيعة العراقيين فقط على التيارات السياسية الواردة باعلاه والمرتبطة بايران واكثر الشيعة العراقيين من انصار

آية الله الشيوى (١) وبدراسة كلتا المجموعتين الواردتين بحالته لايمكن وبشكل تلقائى استنتاج انحياز الشيعة والاكراد لايران . فمن الواجب مراعاة النواحى التـالية : —

(أ) تعد مسألة (الهوية) العراقية موضوعا معقدا فالشيعة والاكراد ليسوا مندمجين بشكل كامل فى الدولة وهناك انتماءات أخرى تمنع عملية الاندماج التى بدأت فى الستين علما المـاضية وحققت نجاحا ضمنيا . أن كانت ضعيفة ومتناقضة من الناحية الظاهرية الا انه يمكن الحديث عن وجود (هوية) عراقية حتى بين صفوف الاكراد والشيعة . وهذا يفسر كيف استطاعت الحكومة العراقية تعبئة قطاع وان كان صغيرا — من هذه الجماعات ضد الغزو الايرانى (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) .

(ب) يعيش كل من الاكراد والشيعة فى المناطق الهامشية من العراق مما يقلل من أهمية مقاومتهم وقوتهم الضاربة بشكل ملحوظ . وتبدو عملية المركزية على الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية بالعراق اكثر وضوحا منهـا فى ايران وينطبق نفس الشىء بالنسبة للاعتماد على عائدات البترول .

(ج) يستوطن اكراد سنييون — هم أقل استعداداً للتعاون مع ايران بسبب تبنى اتجاها معتدلا لا يؤدى الى « تسيس » المؤسسة الشيعية فى العـراق الاسباب الواردة بعاليه — أو العرب السنييون ، مناطق النفوذ والتأثير المحتملة لايران . ويتركز السكان الشيعة بشكل رئيسى فى العاصمة بغداد والجنوب الغربى للبلاد .

(د) مع تنامى اهمية العاصمة بغداد ، التى يقطنها اليوم حوالى ربـع عدد سكان العراق ظهر عامل هام وجديد ، وهو تمركز الشيعة من سـكان بغداد فى المناطق الفقيرة مثل الثورة والحرية والشعلة وذلك بسبب التغير الاقتصادى والاجتماعى الجذرى وبسبب انهيار الزراعة . ويعيش حوالى نصف سكان بغداد فى هذه المناطق الهامشية ، ففى حى الثورة وحدها يعيش آكثر من مليون شخص يواجهون ظروفا اقتصادية واجتماعية رمزية ويواجهون ظروفا سكنية سيئة (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٤) . آتجتاح هذه الاحياء (التى كانت دائما قاعدة للقوى المعارضة ، خاصة الشيوعيين) موجة دينية .

ومن المكن تحت ظروف معينة أن تفجر فى هذا الوضع انتفاضات الخبز كما حدث فى انتفاضة العشش بطهران فى بداية الثورة الايرانية أو الانتفاضات التى حدثت فى كل من المغرب وتونس . وتعتمد هذه الاحداث أولا وقبل كل شىء على سوء الاحوال الاجتماعية وليس ارتبـاط كبـير بحـرب الخليج التى زادت من جانبها من حدة الازمة الاجتماعية .

---

(١) يعد آية الله أبو القاسم الشيوى أقدم فقيه شيعى من أصل ايرانى ، ويعيش فى النجف بالعراق ويواصـل هؤلاء التقليد السلبى للشيعة ولا يشاركون فى الصراعات السياسية .

(هـ) ان الهيكل السياسى للمجتمع العراقى معقد أو لا يقدم بديلا معقولا لنظام الحكم الحالى ولا تتركز السلطة السياسية فى ايدى الاقلية السنيية فقط ، بل هى أيضا فى أيدى أفراد من مدن وعائلات معينة . وكانت القاعدة التقليدية القومية العربية فى العراق مركزة فى مدن الموصل ورمادى وأحياء سية معينة فى بغداد ومدن صغيرة مثل تكريت « واناوروا » والسامراء التى كانت تستأثر تاريخيا بتقديم الجانب الاكبر من موظفى جهاز الدولة العراقية (أنظر باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٢١٦ — ١٢٣٠) .

وفقدت الموصل ورمادى منذ سنة ١٩٦٨ أهميتهما ، بينما كانتا تحتلان قدرا هاما فى عهد الناصريين خلال الفترة من سنة ١٩٦٤ الى سنة ١٩٦٨ — فى السلطة السياسية والوظائف المدنية والعسكرية . وينحدر اليوم كبار الموظفين او أغلبهم من هذه المدن الصغيرة الواردة بعاليه . وتعود الخلافات بين الجماعات المختلفة داخل نظام الحكم الى أصل اعضائها فى أغلب الاحوال ، ففى عام سنة ١٩٧٩ اقصى المنتمون الى السامراء عن السلطة السياسية .

وتعانى المعارضة وكذا كل الكيان السياسى للعراق من هذه الاشكالية . ولا يوجد جماعة سياسية تتمتع بقاعدة ضخمة باستثناء الحزب الشيوعى ، وهو حزب صغير نسبيا ويتواجد انصاره فى كل المناطق وبين كل طبقات الشعب ، ويتواجد انصار التيار الناصرى والحزب الملتزم بالناصرية بين العرب السنيين وخاصة فى المدن الواردة بعاليه ، وهم حاملو لواء القومية العربية وتحصر الاحزاب الكردية نطاق تأثيرها ، بسبب طابعها القومى على المناطق الكردية . ويسرى نفس الشىء على المنظمات التركمانية والاشورية .

أما الحزب الاسلامى فهو مقيد محليا ومذهبيا والتنظيمات الاسلامية التقليدية مثل حزب التحرير والفرع العراقى للاخوان المسلمين بضمان السنيين والعرب فقط .

ولا تضم المعارضة الشيعية الواردة بعاليه ايا من اهل السنة أو الاكراد ، وتقتصر على مناطق معينة . وتوجد قاعدة حزب الدعوة فى النجف على وجه الخصوص ويغلب عليه الطابع العربى . أما قاعدة حركة أمل فتتركز فى كربلاء حيث توجد عناصر عديدة من أصل ايرانى .

ويتأثر هذا التركيب المعقد بظروف المنطقة بحيث يساعد على التدخل من جانب ايران والاتحاد السوفيتى أو من دول أخرى . واستطاعت الحكومة العراقية استغلال هذا الوضع لصالحها على الرغم من التناقضات الداخلية ويعرقل عدم وجود قاعدة مشتركة لكل الاحزاب والمنظمات وجود بديل سياسى للحكومة الحالية . ويستنتج من ذلك أن انهيار العراق سيؤدى اما الى صراعات بين العديد من مراكز القوى مع حدوث تورط وتأثير اقليمى ودولى أو قد يؤدى الى لبننة العراق .

٤/٦ بعض الاستنتاجات

ولا تعد العوامل التى تم تناولها بعاليه مسئولة عن عمليات عدم التكامل والاضطراب وهى ليست ظاهرة مميزة فقط بالنسبة للعراق وايران بل هى ملحوظة فى باقى دول المنطقة وهكذا نجد أن الاهمية المتزايدة للطائفة الشيعية التى توجد فى لبنان والتى تدعمها ايران تعتبر أحد عناصر التناقضات الاقليمية الملموسة بشكل جزئى فى الحرب العراقية الايرانية ويجب النظر الى اضطهاد السكان الشيعة فى دول الخليج فى ضوء انتشار هذه الاشكالية الاقليمية . ففى البحرين يشكل الشيعة أغلبية السكان أما فى السعودية والامارات العربية المتحدة فيشكلون أقليات كبيرة . وكما هو الحال فى العراق نجد أن مشاركتهم فى السلطة السياسية محدودة كما يوجد اهمال اقتصادى واهمال فى البنية للمناطق التى يسكنها الشيعة ومن الضرورى مراعاة هذا الجانب ومراعاة قوة التأثير الايرانى على دول الخليج فى اطار الصراعات الاقليمية .

ومن الممكن للطوائف الشيعية فى هذه الدول أن تكون عاملا مؤثرا فى أى تحول سياسى بعيدا عن ايران .

(ب) تعد حركتا الوحدة العربية والوحدة الاسلامية تيارات سياسية ذات طابع وحدوى يتجاوز الاقليمية واهدافها قابلة للتحقيق فى ظل الوضع الحالى . ولكن الانشطة بتنظيماتها تعمل على نشر الفرقة وعدم الاستقرار وقد تؤدى وتفيد عملية الفرقة فى اعادة تشكيل جديدة ولكن احتمالات حدوث مثل هذه العملية ليست قريبة .

ويبدو أن دول الخليج هى المستثناة من عملية الفرقة وعدم الاستقرار هذه ، منذ دفع الخوف من أطماع السيطرة الاقليمية لكلتا الدولتين المتورطتين فى حرب الخليج ـــ الحكام الى ايجاد تعاون ثنائى سياسى أوثق . وهذا التعاون أحد نتائج الحرب العراقية الايرانية التى تغير من المكونات غير المتجانسة وغير المتوافقة الموجودة بعمق هذه الدول .

(د) وتستفيد الدول الكبرى من الحرب ومن الصراعات والخلافات الاقليمية ، وهى ليست قادرة على حل هذا الصراع وليس لها مصلحة فى تسويه وتهدف هذه الدول الى ايجاد توازن بين طرفى الصراع وعلى الحد من امتداد هذه الحرب اقليميا . ويمنع وضعها الاحتكارى للتسليح المتقدم من تصعيد الحرب وبدرجة معينة :

وهيأت الحرب عاملين أساسيين لاعتماد المنطقة على الدولتين العظميين وتسللهما فيها : انعدام الامن والاستقرار . وهناك سبب ثالث للارتباط

والتدخل يبدو انه سيسرى على العراق فى المستقبل ويتمثل فى عجز الدولة عن تســديد الديون واعلان افلاسها وذلك يعنى تحولا جديدا فى العلاقة مع الدولتين المعظميين واختيار جديد للنظام السياسى الدولى .

(هـ) لا تلوح فى الافق نهاية لهذه الحرب ، وسيترتب على ذلك أن يواجه العراق حرب الاستنزاف على المستوى الاقتصادى . وبفضل خطوط البترول الحديثة والتى بدأ العمل لها يبدو أن العــراق بمنأى عن هذا الخطر حتى وان كانت عوامل اخرى تؤثر على هذا التطور . وعلى الرغم من استطاعة العــراق اعادة ما يستخرجه من بترول وما يصدره من بترول الى معدلات ما قبــل الحرب تجد انه من غير المؤكد أنينجح فى عرض ٣ ملايين برميل يوميا فى السوق البترولية المتشبعة (لتحقيق المكاسب المأمولة) تلك السوق التى انهارت واقعيــا بانهيار الاوبك الذى تم بسبب مستهلكى البترول مما أدى بالتالى الى انهيار الاسعار .

واذا ما ظل النظامان الحاكمان بالعراق وايران فى مكانهما دون تغيير فمن المستحيل حدوث نهاية لهذه الحرب فى صورة اتفاق سلام ملزم لكلا الطــرفين كما حدث اتفاقية عام ١٩٧٥ . وحتى اذا ما ادت الطاقات العسكرية المحدودة أو حرب المواقع الثابتة المتأثرة بالعوامل الاقليمية والدولية الى نصر شــــامل أو غزو كبير (وان كان ذلك أمرا غير مستبعد) فان هذا الصراع المزمن سيتحول الى حرب استنزاف .

وتعد زيادة الصراعات والاتجاهات الانقسامية الجديدة لجماعات محليــــة ومذهبية صغيرة تعد عملية سلبية فى هذه المنطقة وتحمل فى طياتهــا خطر « لبننــة » بعض الدول وتتمثل نتائج ذلك فى تزايد الانفاق على التســـليح والجيش وعسكرة المجتمعات والتعويق المكثف للتنمية .

ومن الممكن التغلب على المشاكل الرئيسية لهذه الدول مثل التنمية الاقتصادية والديمقراطية ومشاكل التموين وكذلك العلاقة العادلة بين الشمال والجنــــوب فى اطار وحدات اقليمية أكبر أو تعاون سلمى بين الدول على أساس تنظيمــات اقليمية مثل الاوبك والجامعة العربية ومنظمة الدول الاسلامية . والكيــــانات غير الديمقراطية وغير العادلة الحاكمة لهذه الدول تجعل انتشــــار الاتجــاهات الفرقة وعد الاستقرار أمرا لا يمكن تجنبه .

وفى هذا الاطار تلعب الحرب العراقية الايرانية دورا مدمرا ، فهنــــاك جماعات معينة فى كلتــا الدولتين وكذا جماعات اقليمية . والدول العظمى وتجارة الاسلحة الدولية تستفيد من هذه الحرب التى لم تؤد فقط الى حدوث تغــــيرات فى تركيبات السلطة بل أدت ايضا الى بروز وارتقاء تنظيمات ومراكز قــــوى اصغر .

أهم موردى الاسلحة لايران :

قبل الحرب	أثناء الحرب	مساعدات أخرى
الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، فرنسا وايطاليا بريطانيا .	الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الصين ، فرنسا ، ايطاليا بريطانيا ، المانيا الديمقراطية ، سويسرا ، اسرائيل ، سوريا ، كوريا الشمالية ، كوريا الجنوبية ، الجزائر ليبيا ، الارجنتين ، البرازيل .	الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، اليونان ، اسرائيل ، سوريا اليمن الجنوبى ، كوريا الشمالية ، كوريا الجنوبية، تايوان ، فيتنام ، الجزائر ليبيا ، الارجنتين .

اهم موردى الاسلحة للعراق :

قبل الحرب	أثناء الحرب	مساعدات أخرى
الاتحاد السوفيتى فرنسا ، البرازيل .	الولايات المتحدة ، الصين ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المجر ، بولندا ، يوغسلافيا ، النمسا ، مصر ، الاردن كوريا الشمالية ، البرازيل ، شيلى .	الاتحاد السوفيتى ، بلجيكا، فرنسا ، المانيا الاتحادية، ايطاليا ، البرتغال ، اسبانيا بريطانيا ، تشيكوسلوفكيا، المانيا الديمقراطية ، بولندا مصر ، الاردن ، الكويت ، السعودية ، الامارات ، باكستان ، كوريا الشمالية الفلبين ، المغرب ، اثيوبيا السودان ، البرازيل .

النفقات العسكرية فى الشرق الاوسط (بالمليـــار دولار ابتــداء من عام ١٩٧٨)

الدولـــة	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
أفغانستان	١٤	٦٨	٦٣	٤٨	٤٤	٤٢	٤٤	٥٠	٥٩	—
الجـــزائر	١٤٥	١٩٢	٢٢١	٢٢١	٢٢١	٢١٧	٤٢٦	٤٢٦	٤٦٥	٥٢٤
البحرين	—	—	—	—	—	٣٥	٤٧	٣٣	٥١	١١٥
مصـــــر	٦٧٧	٩٤٩	١ر٥١٧	١ر٥١٧	٢ر٥٨٩	٢ر٩١١	٥ر٩٢٧	٥ر٠٠٤	٣ر٣٢٧	٢ر٥٠٩
اثيوبيـــا	٧٣	١٢٦	١٢٣	٩٧	٨٦	٩٩	١٣٦	١٧٠	٢٥٤	٣٤٤
ايـــران	٥٤٣	٦١٢	١ر١٣٣	١ر٦١٥	١ر٨١٤					
العـــراق	٣٤٦	٤٦٢	٥٧٨	٦٧٧	٨٤٦	٢ر٥١٨	٧ر٦٦٤	١٠ر٥٥٧	٩ر٤٢٤	٤ر٠٤٠
اسرائيل	٢٥١	٤٠٦	٥٦٦	١ر١٣٢	١ر٩٨١	٨٣٠	٢ر٠١٦	٢ر٠١١	١ر٩٨٨	٢ر٤٤٠
الأردن	١٩٠	١٩٠	٢٢٨	٣٦٤	٢٨١	٢ر١٣٤	٢ر٩٠٠	٣ر١٥٩	٢ر٦٧٦	٢ر٢١٨

الكويت	٨٦	٩٠	١٥٨	٢٨٥	٣٠٣	٢٩٢	٢٥٠	٤١١	٣١١	٤٩١
لبنـــان	٨٣	٧٤	١٠٠	١٢٥	١٢٢	٣٧١	٧٢٤	١ر٠٦٤	١ر٠٧٦	٩٣١
ليبيـــا	٢١	٢٦	٦١	٢٧٤	٤٦٤	١٧٤	٢٠٩	١٧٤	١٦٦	٢٠٠
موريتانيا	١٠	٦	٥	٦	٦	٥٣٣	١ر٠١٠	١ر٦٠٣	٢ر٠٤٩	—
المغـــرب	١٦٣	١٩٢	١٧٦	٢٢٣	٢٢٦	٨	١١	٥١	٨٤	٧١
عمـــان	...	...	...	...	...	٢٧٠	٣٦٧	٧٥٥	٧٧٠	١ر١٦٦
باكستان	٣٢٢	٥٩٣	٧٤١	٦٢٠	٧٣٥	٧٢	٣٤٢	٧٨٥	٧٦٧	١ر٠٧٩
السعودية	٤٣٣	٥٠٣	١ر٠٢٢	١ر٥١٧	١ر٧٣٩	٩٧٨	٩١٢	٩٤٣	٩٨٨	١ر١٥٢
الصومال	١٢	١٥	١٦	٢١	٢٦	٢ر٦٢٣	٤ر١١١	٨ر٤٣٣	١١ر٣٧٩	٢٢ر٢٥٨
السودان	١٧	١١٠	١٤٧	١٧٩	٢٥٣	٣١	٣٦	٣٢	٦٧	٧٧
ســوريا	٢١٣	٢٤٠	٢٢٠	٣٧٧	٣٨٤	٢٥٩	١٨٤	١٩٣	٢٠٧	٢٨٥
تونس	٣٣	٤٠	٣٧	٤٢	٤٥	٤٢٧	٦٢٤	١ر١١٠	١ر١٦٥	٣ر١٨٦
تركيـــا	١ر٠٣٥	١ر١٥٢	١ر١٨٩	١ر٢٦٧	١ر٣٣٢	٥٢	٦٤	٩٨	١٤٨	١٩٤
الامارات						١ر٦٨٣	١ر٨٩٤	٣ر٤٢٠	٢ر٧٢٨	٢ر٧٥٤
اليمن الشمالية	٥	٩	٩	٣٢	٥٩	—	٢١	٨١	٦٨٩	١ر١٦٢
اليمن الجنوبية				٤٦	٤٤	١٠٠	١٠٦	١٣٥	٧٩	٩٨

المصدر : حــرب ريبوب رقم ١١٢ تقديرات توضح الاتجاهات ولكنهــا (١٩٨٣) .
هذه البيــانات فى أغلبها لا تعطى ارقاما محددة

عقود توريد الاسلحة عبر بلد ثالث فى الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١

(بالمليار الدولار ابتداء من ١٩٧٢)

المورد	الاجمالى	النسبة
الاتحاد السوفيتى	٤٢٫٥٦٠	٢٦٫٨
اوربا الشرقية	٥٫٧٨٠	٣٫٦
الولايات المتحدة :		
— اسلحة	٣٥٫٢١٠	٢٢٫٢
— تجهيزات	١٢٫٢٣٤	٧٫٧
— خلافه	١٢٫٢٨٠	٧٫٧
اوربا الغربية	٣٩٫٣٨٠	٢٤٫٨
دول اخرى	١١٫٢٦٠	٧٫١

صفقات اسلحة متفــرقة للشرق الاوســط فى الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١

	النسبة المئوية بالنسبة للعالم الثالث	الشرق الاوسط فى الشرق الاوسط	النسبة المــئوية			
			من الولايات المتحدة	من الاتحاد السوفيتى	من غربى أوربا	من أوربا الشرقية
دبابات/مدافع	٦٩ر٨	٢٢ر٢٤٠	٢٢ر٣	٤٤ر٣	٨ر٨	١٩ر٤
اسلحة خفيفة	٧١ر٣	٢٦ر٩٧٥	٣٨ر٩	— ر ٤٠	١٣ر١	٣ر١
مدفعيـــــــة	- ر ٤٩	٢٦ر٧٧٥	٦ر٧	٣٥ر٧	١ر٠	١٣ر٦
طائرات مقاتلة	٦٩ر٥	٤ر٦١٠	١٩ر٥	٦٢ر٦	٩ر٥	—
طائرات عمودية	٤٧ر٤	٢ر٦٠٠	١١ر٥	٣٤ر٦	— ر٥٠	٢ر١
صواريخ أرض/ جـــو	٨٤ر٤	٣٠ر١٨٠	٢٤ر٢	٦٦ر٦	—	- ر١

الشرق الاوسط وشمال افريقيا : واردات الاسلحة وصفقات الاسلحة فى الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤ ومن ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩ (بالمليار دولار)

الفترة	المنطقة	قيمة اجمالية	النسبة بالنسبة للعالم الثالث	أكبر الموردين	القيمة الاجمالية للواردات	النسبة المئوية للمنطقة	أكبر الموردين	النسبة المئوية	أكبر أربعة موردين	النسبة فى المنطقة
١٩٧٠ حتى ١٩٧٤	الشرق الاوسط	٩ر٣٤٤	٥٠	سوريا	٢ر٣٢٠	٢٥	الاتحاد السوفيتي	٩٥	الاتحاد السوفيتي	٥١
				مصر	٢ر١٨١	٢٣	الاتحاد السوفيتي	٩٨	أمريكا	٣٤
				ايران	٢ر٠٥٣	٢٢	أمريكا	٦٠	بريطانيا	١٠
				اسرائيل	١ر٦٨٨	١٨	أمريكا	٩٧	فرنسا	٢
				العراق	٣٣٦	٤	الاتحاد السوفيتي	٩٤		
				السعودية	٣٢٤	٣	أمريكا	٥١		
	شمال أفريقيا	٧٨٣	٤	ليبيا	٦٥٦	٨٤	فرنسا	٦٧	فرنسا	٦٣
				المغرب	٦٤	٨	أمريكا	٦٩	الاتحاد السوفيتي	١٧
				تونس	٤١	٥	فرنسا	٩٦	أمريكا	١٢
				الجزائر	٢٣	٣	فرنسا	٥٢	بريطانيا	٤
من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩	الشرق الاوسط	٢٠ر١٤١	٤٨	ايران	٦ر٢٢٩	٣١	أمريكا	٨١	أمريكا	٦١
				السعودية	٢ر٨٠٦	١٤	أمريكا	٧٩	الاتحاد السوفيتي	١٥
				الاردن	٢ر٦١٥	١٣	أمريكا	٩٨	فرنسا	٧
				العراق	٢ر٤١٨	١٢	الاتحاد السوفيتي	٩٣	بريطانيا	٥
				اسرائيل	٢ر٠٠٨	١٠	أمريكا	٩٥		
				سوريا	١ر١٧٠	٦	الاتحاد السوفيتي	٨٤		
	شمال أفريقيا	٤ر٨٤٨	١١	ليبيا	٣ر١٥١	٦٥	الاتحاد السوفيتي	٧٩	الاتحاد السوفيتي	٦٢
				المغرب	٨٦٣	٢٠	فرنسا	٨١	فرنسا	١٩
				الجزائر	٦٦٠	١٤	الاتحاد السوفيتي	٧٩	أمريكا	٣
				تونس	٧٢	١	ايطاليا	٣٨	بريطانيا	١

اكبر مصدرى السلاح للعالم الثالث فى الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٠
(بالمليار الدولار)

المصدر	القيمة	النسبة المئوية للصادرات للعالم الثالث	اهم المستوردين مقابل كل مصدر
البرازيل	٤٢١	٣٣ر١	شيلى
اسرائيل	٣٦٧	٢٨ر٩	جنوب افريقيا
جنوب افريقيا	١١٦	٩ر١	زيمبابوى
ليبيــا	٩٨	٧ر٧	سوريا
مصر	٧٢	٥ر٧	الصومال
كوريا الجنوبية	٣٨	٣ر٠	اندونيسيا
الارجنتين	٣٥	٢ر٨	شيلى
السعودية	٣١	٢ر٤	الصومال
سنغافورة	١٧	١ر٣	تايلاند
اندونيسيا	١٦	١ر٣	بنــين
كوبا	١٥	١ر٢	بيرو
الهنــــد	١٢	٠ر٩	جنوب افريقيا
دول اخرى	٣٣	٢ر٦	
الاجمــالى	**١٢٧١**	**١٠٠ر٠**	

المصدر : الكتاب السنوى *SIPRI* عام ١٩٨٢ ، ص ٩٦ .

كبار مصدرى السلاح للعالم الثالث فى الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٩

المورد	النسبة المئوية لاجمالى الصادرات للعالم الثالث	اكبر المستوردين	النسبة المئوية لكل الصفقات
اسرائيل	٢٦	جنوب افريقيا	٣٥
		الارجنتين	٢٩
البرازيل	٢١	ليبيا	٢٥
		شيلى	٢١
ايران	٩	باكستان	٧٥
		الاردن	٢١
الاردن	٩	جنوب أفريقيا	٩٠
جنوب افريقيا	٩	زيمبابوى	٩٨
ليبيا	٦	اوغندا	٧٠
		سوريا	٢٤
دول اخرى	٢٠		

المصدر : الكتاب السنوى لسلسلة *SIPRI* في سنة ١٩٨٢ ، ص ١١٦ .

الفهـــرس

مراجعة مطبعية : على كامل دسوقى



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات